

**أنا**  
**من سلالة الصخور**

عنوان الكتاب : أنا من سلالة الصخور

المؤلف : حامد بدرخان

تقديم : د. نزار بني المرجة

اختيار : مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/78/ تشرين الثاني

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

---

---

البريد الإلكتروني: [aru@net.sy](mailto:aru@net.sy)

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu.sy>

---

---

# أنا من سلالة الصخور

حامد بدرخان  
1996 - 1924

مختارات من أعماله الشعرية الكاملة

تقديم: د. نزار بني المرجة  
اختيار: مالك صقور



## حامد بدرخان

1924 - 1996

### د. نزار بني المرجة

حامد بدر خان شاعر سوري (1924 - 1996)، وصاحب تجربة شعرية متميزة، كتب الشعر بأربع لغات: التركية والفرنسية والكردية حينما كان في تركيا، وكتب الشعر باللغة العربية بعد عودته إلى سورية.

ولد حامد بدر خان في قرية (شيخ الحديد) عام 1924، والتي سماها في إحدى قصائده "صومعة الفكر"، وهي تقع في منطقة عفرين بمحافظة حلب على الحدود التركية، اسمه الحقيقي (حميد بن مراد بن حسن خضر)، وقد عرف في تركيا باسم (حميد أراغون) وقد اختار هذه الكنية بعد معرفته الشخصية بالشاعر الفرنسي لويس أراغون ومحبه له، وبعد عودته إلى سورية في العالم 1947 هارباً من السجون

التركية قام بتغيير اسمه وكنيته خوفاً من ملاحقة المخابرات التركية له داخل الأراضي السورية، وأصبح اسمه (حامد بدر خان)، وقد أهداه كنية "بدر خان" الأمير والكاتب السياسي الكردي الكبير (جلادت بدر خان) الذي رأى بأن الشاعر إلى حامد بدر خان جدير بحمل كنيته... وسبب هجرة الشاعر إلى تركيا هو تعرض عائلته الكادحة لضغوطات وخصومات من أغوات القرية، حيث اضطرت العائلة للرحيل إلى بلدة قرقخان القريبة منها داخل الأراضي التركية.

درس حامد بدر خان الآداب التركية بجامعة استانبول وتخرج منها، ليدرّس بعدها في المعاهد الفرنسية، وبعد تخرجه، بدأت نشاطاته السياسية، وعمل في الصحافة التركية في جريدة (غونايدن) (صباح الخير) حينما كانت سياسة تركيا مؤيدة للاتحاد السوفياتي، وكانت له علاقات صداقة وثيقة مع عدد من الأدباء والكتاب اليساريين الأتراك وفي مقدمتهم الشاعر التركي المعروف ناظم حكمت، والقاص المعروف أيضاً عزيز نيسين، وآخرين مثل: عابدين دينو - صلاح عدولي، بالإضافة إلى أستاذه ممدوح سليم.

ومع توسع وتوطيد علاقاته مع هذه الأسماء وأوساط المثقفين الأتراك الآخرين، شارك في تأسيس الحزب الشيوعي التركي.

وسافر بعدها إلى فرنسا برفقة صديقه عابدين دينو إلا أنه لم يقيم فيها فترة طويلة، حيث عاد إلى تركيا، ومع انحياز تركيا إلى المعسكر الغربي، تعرض ورفاقه إلى الملاحقة، وتم اعتقاله ووضع في سجن أنقرة. وتمكن بعد فترة من الفرار من السجن، وقطع مسافات طويلة بين الجبال والوديان الوعرة، وتمكن من العودة إلى قريته السورية "شيخ الحديد" عام 1947، وسافر إلى دمشق وعمل في عدة مجالات لكسب قوته اليومي، وصارت له علاقات صداقة مع عدد كبير من الأدباء السوريين مثل: علي الجندي - محمد الجندي - أحمد الجندي - سلوى شحادة - ناديا الجندي - نجاح العطار - سليمان عواد - محمد الماغوط - حنا مينه....

وبعد عودته من دمشق إلى حلب أقام في منزل صديقه رشيد عبد المجيد، الذي تحول إلى ملتقى دائم للأدباء والفنانين بفضل زوجة الأستاذ رشيد السيدة نازلي خليل المحبة للأدب ورعاية المواهب، والتي كانت بالنسبة لشاعرنا بمثابة الأم والأخت والملممة، وهي التي تكفلت بنفقات طباعة كافة أعماله الشعرية الكردية والتركية والعربية... وقد ترك الشاعر حامد بدر خان بعد وفاته قرابة ثلاثين ديواناً من الشعر منها خمسة عشر باللغة التركية واثنين باللغة الكردية وأحد عشر باللغة العربية، بالإضافة إلى مذكراته المفقودة!

وقد قام بجمع أعماله الشعرية العربية الكاملة أصدقاؤه رشيد عبد المجيد ومحمد شيخ عثمان ومحمد عزيز شاکر وأعدھا وقدم لها محمد جزائر حمکوجرو، وقام بمراجعتها مع کلعيزار عبد الرحمن ولو وماجد عارف وصدرت في حلب في العام 2009، كما صدر ملحق لأعماله العربية الكاملة في العام 2012، قدمت له السيدة سلوی شحادة الجندي، وقام بإعداده محمد جزائر حمکوجرو.

أما دواوينه الشعرية بالعربية فهي: "تامارا" - "الشمس لن تغيب" - "ميريا" - "المقاومة بصدور مفتوحة" - "تحياتي إلى المقاتلين في الجبال" - "موعد الكروم" - "مجزرة حلبجة وأرض بوطان" - "الأخطبوط" - "شيخ الحديد" - "مع صرخات الأطفال" - "ليلة هجران" - "على دروب آسيا" وهو من أشهر دواوينه العربية..

تعود معرفتي بالشاعر الكبير الراحل حامد بدرخان إلى العام 1979، كان ذلك في مقهى (القصر) الذائع الصيت، والذي كان (بالإضافة إلى مقهى الفندق السياحي القريب منه) بمثابة ملتقى النخبة من الأدباء والفنانين التشكيليين من أجيال واتجاهات فكرية مختلفة في حلب، وفي بعض المرات كانت تجمعني وإياه دعوات غداء أو عشاء متبادلة في مطعم "وينس" المعروف هو أيضاً بكونه ملتقى للأدباء والفنانين..



كنت سعيداً على مدى عامين تقريباً بوجودي مع حامد بدرخان وتلك المجموعة المتميزة والتعرف عليها عن كثب، أذكر منهم بالإضافة إلى حامد بدرخان: وليد إخلاصي - عبد الفتاح قلعجي - فاضل السباعي - نيروز مالك - نضال الصالح - لؤي فؤاد الأسعد - عمر الدقاق - نظار نظاريان - أنور محمد - محمد الراشد - نظيم أبو حسان - عصام ترشحاني - محمود علي السعيد - جمال باروت - عادل أديب آغا - محمود فاخوري - محمود منقذ الهاشمي، ومن الفنانين التشكيليين: عدنان حمام - طاهر البني - سعد يكن - عبد الرحمن مهنا - عادل حنا - محمد أبو صلاح، وآخرين..

ومن بين هؤلاء كان "حامد بدرخان" هو المتميز والمختلف فقد كان بالنسبة لي، ولعدد من أقراني ممن أطلق عليهم النقد في تلك الفترة (جيل شعراء السبعينيات)، بمثابة أب روعي، وكنت مع أبناء جيلي نتابع بشغف واهتمام كل نص تنشره الصحافة لحامد بدرخان آنذاك (وبشكل خاص صحيفة "تشرين" و"ملحق الثورة الثقافية")، وبسبب من ذلك التماهي اللافت في شخصيته الفريدة الغنية بتفاصيلها، بين انتمائه الفكري والسياسي كماركسي ونتاجه الإبداعي ونموذجه السلوكي، كان جديراً باهتمام وانحياز جيلنا

الشاب آنذاك إليه بمحبة واحترام عميقين ، وتشرفت ذات يوم  
بإهدائه النص الشعري التالي على صفحات جريدة "تشرين":

والفرحة ما جاءت بعد  
تتموج فيك الألوان القزحية  
كالزيت العائم  
فوق مياه النهر..  
تتمادى كإشارة ضرب ضخمة!  
والشمس المصلوبة  
في الأفق المغدور:  
تقتات بقاياك العذبة!  
.. تنزف شعراً  
وسفينة حبك راحلة  
نحو النصف الآخر للأرض!  
ستغيب رويداً عن عينيك  
وحطامك  
يصبح فوق الورق بيوتاً

..أية أوراق وبيوت  
يسكنها فرح العمال  
ألوانك تشهد  
أنك تنزف ورداً  
..تتأثر فوق العالم  
تتلاشى  
..تتوالد في أشكالٍ أخرى  
عبر رمادك ألف ولادة!!  
شعرك: حبٌ للآتين  
والآه الممدودة حتى الشمس

#### "مارسيلبيز" كوني آخر..

في كل مرة تجلس فيها مع حامد بدر خان يكون  
الحديث شيقاً، إذ ثمة شيء جديد يسرده من ذكرياته الغنية  
البعيدة أو القريبة..، وقد لا تفوتك فرصة معايشة طقس  
الكتابة عند حامد، عندما يصمت برهة ثم يتناول ورقة من  
الأوراق الرقيقة (التي سبقت المناديل الورقية) الموضوعه في  
كأس أو علبة خشبية تتوسط الطاولة، ليدون عليها بخطه

العربي الرديء مقطوعاً شعرياً أو قصيدة جديدة لأنه يكره تأجيل كتابة القصيدة إذا ولدت في لحظة ما... ويحدث أحياناً أن ينساها على الطاولة، لتضيع في حال لم ينتبه إليها من يجالسه وهكذا بالضبط ضاعت الكثير من قصائد حامد بدر خان! الذي كان غزير الإنتاج وقليل النشر، وبقيناً فأنت عندما تجلس مع حامد بدر خان تشعر بحضور أرواح ناظم حكمت ولويس أراغون وفيدريكو غارثيا لوركا وأرنستوشي غيفارا وبابلو نيرودا تتبادل معهم الأنخاب على الطاولة!!...، أجل أنت تجلس مع الطبيعة المتناهية والعظمة المتناهية، وأنت وإياه في الخندق ذاته، ولبرهة تشعر أنك تجلس ربما مع الإنسان الصادق الحقيقي الوحيد في عالم أصبح مزيفاً بكامله..، شاعر نذر نفسه لكتابة النشيد الوطني والقومي والأممي الشامل للأرض والإنسان.. مفترشاً آسيا بسهولة وأنهارها وامتكناً كمحارب أسطوري ضخم على هضابها وجبالها..، شاعر يطلق لأحاسيسه العنان، لترجم حتى أحلام اليقظة التي لا تختلف عنده عن أحلام النوم! إلا في كثرة آلام الواقع ربما.. آلامه هو.. وآلام الآخرين القريبين منه، في الميادين وعلى جبهات المواجهة مع الفقر والموت وقوى الشر والعدوان في كل بقاع العالم.. هو الناطق باسمهم جميعاً، باسم معاناتهم، وباسم جراحهم، وباسم آمالهم... وانتصاراتهم

أيضاً!! وفي وسعنا الجزم بأن حامد بدر خان كان بالنسبة  
لجيلنا بمثابة مدرسة شعرية حقيقية فريدة نهل منها الكثيرون  
ممن كتبوا قصيدة النثر في السبعينيات والثمانينيات وحتى  
التسعينيات...، ومما ميزها أنها كانت تحمل نكهة الشعر  
العالمي المترجم (ومرد ذلك ربما يعود لتجربة حامد في الكتابة  
بعده لغات من جهة)، وكونها تضاهي في مضامين نصوصها  
الكثير مما قرأناه مترجماً لكبار الشعراء الأجانب في تلك  
الحقبة، فقصائده شديدة الوضوح ليس فيها غموض أو  
طلاسم... وهي لا تحتمل الخطأ في التأويل لأنها مستمدة من  
حياة البسطاء ومنحازة إليهم بلا حدود ، وما وجود رموز  
وأساطير في سياق هذه القصيدة أو تلك إلا لتكريس الفكرة  
المنشودة للقصيدة ، وهي بالتأكيد نتاج الثقافة الموسوعية لبدر  
خان والأرضية النضالية لشاعر كبير يستحق درجة العالمية..  
لأنه (ونصوصه بلغاتٍ أربع تشهد!) تمكن من كتابة مقاطع  
طويلة رائعة من ملحمة النشيد الإنساني، لتضاف بجدارة إلى  
ما كتبه شعراء ملهمون كبار في العالم...

وهذه المسألة سيلمسها القارئ لهذه القصائد المختارة من  
(الأعمال العربية الكاملة) للشاعر والتي أعتبر وجودها بين ما  
تبقى من مكتبتي الشخصية ، كنزاً حقيقياً ، وهي مناسبة  
أكرر فيها شكري للسيد رشيد عبد المجيد وزوجته السيدة

الفاضلة نازلي خليل (التي اختارها الشاعر لتكون مؤتمنة على كل شيء في حياته وبعد رحيله) لتكريمهما بإهدائي تلك النسخة عبر الصديق المشترك الأديب أحمد نبّو، وأتوجه بالشكر العميق لرئيس تحرير مجلة "الموقف الأدبي" الزميل الأديب المعروف مالك صقور الذي اختار الحديث عن إبداع الشاعر السوري الكبير حامد بدر خان ليكون موضوعاً لهذا العدد في (سلسلة الكتاب الشهري)، وكان اختياراً موفقاً حيث سيلاحظ القارئ لهذه القصائد المختارة، فخر الشاعر بانتمائه إلى وطنه سورية...، يقرأ مدن وبلدات الوطن في عناوين القصائد أو بين سطورها: دمشق - حلب - حماة - القنيطرة - القامشلي - عفرين...، ويصادف جبال الوطن وسهوله وأنهاره: الفرات والعاصي وبردى...، حيث يشعر المرء أنه أمام خارطة شعرية حقيقية للوطن بكل تفاصيله الطبيعية والإنسانية، وقد جسدها الشاعر الكبير الراحل حامد بدر خان في لوحة خالدة تضح بالألوان والمشاعر والحياة والأحاسيس الصادقة لوطنها جسده الكرامة والكبرياء... هو سورية الغالية.

وختاماً فهي مختارات نضعها بين أيدي القراء والمتابعين للكتاب الشهري، لتكون بمثابة نافذة على إبداع شاعر سوري كبير لن تنساه الأجيال..

## الإهداء

إلى بريق الخجل الذابل في عرق الزهور والسفر..  
إلى الدروب البعيدة خلف الأفق المصلوب بعيون الأمهات..  
إلى التي أستكين بجمان عينيها..  
ودفاء كلماتها ووهج عطف الأمهات  
إلى التي أقرأ بوجهها سرّ الأمهات اللائي ذرفن دموع عودة الغائب..  
إلى خارطة أشيائي...  
وأغاني وحدتي بين أحزان الوحشة والضياع والسفر..  
إلى رجفة ابتسامتي حين تعانق ابتسامه الأطفال..  
وابتسام البنساء  
إلى من دفنتها في جسدي ذاتاً غريبة خلف دروب حناني..  
إلى الذات...  
وأغنيات الدموع..  
أهدي من خلف أصداء حزن ملايين السنين  
أرقام مبعثرة في أغنيات الدموع...

حلب 1978/3/11





## أنا من سورية

أحمل جنسية سوري..  
تأثر من البلد المجاور  
محكوم ومشبوه  
ولكنني تأثر...  
أعرف الشّعْر..  
طريقاً يمتد إلى الأغوار  
إلى الأعماق  
ولكنه...

كلمات صريحة  
كلمات مفيدة  
كلمات منظمة  
كلمات تشير إلى الهدف  
كلمات تشير إلى الواقع

أنا تأثر..  
أعرف...  
مستفعلن من مفاعلين وفعولن  
وبحر الرمل وبحر الكامل  
ولكن لن أكتب  
ولم أكتب...  
ولم أعترف بالقوافي والأوزان...  
الفكر والأحاسيس لن ترتبط بالبحور والأوزان  
أنا ابن الثورة  
ابن طريق الخلاص من العبودية  
من الكفاح المسلح  
ابن الثورة.. ابن النظرية  
"خطوتين إلى الأمام خطوة إلى الوراء"  
ولكن.. ليس لنا سوى الكفاح المسلح  
وحرب التحرير الشعبية  
درست في رحلة ماركس، انجلز، ولينين  
وأقول: أحب السلم  
أدعو للسلم ولكن..

هناك أصوات قاذفات القنابل والمدافع  
في اليمن، في أنغولا، في فيتنام الحرة  
أنا من سورية الثورة  
أحب.. كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية  
والأصدقاء من الدول الاشتراكية  
وأموت لأجل الشعب  
في القنيطرة وبانياس ومسعدة  
أكافح لأجل تعز وصنعاء  
لم أعترف بالفن الجميل  
بالوزن والقوافي  
ومن الأعماق  
أقوم.. وأصرخ..  
وأطلب النجدة من الجماهير  
وإلى الجماهير  
والجماهير مطلقاً  
ودائماً...  
جمجمة روديار وكبلنغ  
فوق طاولة التشريح

للشعوب الحرة

تتهض كرة أخرى

وبعد الانسحاب

أمنية واحدة

للتحقق...

هناك يموتون من الجوع

وغضب زيوس

والبرد والثلوج

والآه...

وبوش يهددنا

يموتون...

ولكن نحن نتحدى الطبيعة

ونتصر...

ونبدأ الكفاح المسلح

في الأرض المسلوية.

\* \* \*

## شوخ الحديء صومعة الفكر\*

رغم مرارة الأيام  
يا حبيبتي..  
لا أريد أن أكتب إليك  
عن ليالي الصيف الحزينة  
ولا عن بيتنا القديم..  
لا هنا أشجار الدلب الشامخة  
ولا ظل الصنوبر..  
لم أرسم اللوحات للمتاحف  
باللون البنفسجي  
رغم حبي للجبال..  
لأن مسافات الدم

---

\* قرية الشاعر قرب عفرين في ريف حلب.

والقلوب المحروقة  
في كل مكان..  
أكتب إليك عن يقطتي  
عن كأس  
حيث أعصر الألام  
من عناقيد الغضب...  
البحر الأبيض المتوسط  
والبحر الهندي  
مسرحاً لاستعراض العضلات  
والأساطيل النووية  
وحاملات الطائرات  
ريغان فاقد الأعصاب..  
أرضنا المحتلة.. وادي دجلة والفرات  
والشرق كلّ الشرق  
مكاناً أميناً لأسرار  
العواصف والمستحيلات..  
وميض غامض من الأمل..  
وميض برق مفاجئ

صوت واحد  
بمئات الآلاف  
ومن الأعماق  
ضد التروستات والكارتيلات  
والأساطيل والمؤامرات  
التي تأتي إلينا من وراء البحار  
من الأحلاف والخيانات  
صوت واثق من نفسه  
صوت في اختراق عجيب  
ينعكس من وادٍ إلى وادٍ  
من شاطئ إلى شاطئ..  
الأرض مروية بدماء الأبطال  
ولكن الأخصر في كل الحالات  
في عراق عنيف مع العتمة...  
غداً ستموج من جديد  
سنابل القمح  
في السهول والمرتفعات...  
البشارة

البحر والنهر والجبل  
مع اليقظة في صفحات كتابي...  
تتداخل أوراق الشجر وأغصانها  
متحوّلة إلى أمواج  
شلال عنيف في الضوء...  
لا يمكن أن تسيطر الظلمة  
على المسالك..  
رغم الأحداث الجارية  
والنور لن يبهر العيون  
حيث تتصلب الخطوط الفولاذية  
والنفس البشرية مجبولة على الخير  
والإشراق وحبّ الإنسانية  
لا... لليأس والتشاؤم  
رغم كل التساؤلات.

\* \* \*



## دمشق صانعة المعجزات

إن معرفتنا هي قوتنا وسلاحنا  
"ماياكوفسكي"

مع بزوغ الفجر  
في بلادنا كل شيء جديد...  
بنياناه... بناية من الدم  
بالنار والحديد بناية جديدة..  
رغم الآلام والمآسي  
تلك الأحجار.. تلك البنائيات والحديقة والأثمار  
ودمشق صانعة المعجزات.. عاصمة العمال...  
وعلى شاطئ العاصي وحول الفرات..  
عشنا على الأمل  
فوق بيادر القمح والشعير  
تحت النجوم..

كلمات حول القمر تشير بالغريان...

بالبوم والعاصفة

وبعيداً.. بعيداً عن عالمنا

الأرضي والترابي.. الأحمر

والأصفر.. والرمل... والحجر

بعيداً.. بعيداً عن التبن والأكواخ

وفي المدن

حرّاس الليل يقظون

وعلى الأرصفة

أفران تعطي الخبز

وسيارات تنقل المحاصيل

المعامل تعمل ليلاً ونهاراً

النملة والنحلة

تتحركان باستمرار.

\* \* \*

## رسالة من دمشق

أرى في قلبك  
كل مسارات الريح  
من آنٍ إلى آنٍ...  
انظري إلى جلاميد الجبال  
وهل ترين حرية  
في فجر جديد..؟  
هذه البذرة البطولية  
في نظراتك البريئة  
ربيع للحب..  
طافح بالنعيم...  
هاهنا أبصارنا  
مصوّبة إلى النجوم  
وأنا واقف على عتبة دارك الحزينة  
يتعاضم كالموجة الكبيرة العاصفة  
في قلبي....

في كل الروابي  
وفوق أوراق ورودك  
روحي ستتحوّل إلى أغنية  
لكي أغسل بها سموم العصر...  
الحب ليس داءً أسود  
بل إنّه فجر الأيام والعصور  
استيقظوا من نومكم القاتل  
إلى الحياة  
دعوتي إلى التمرد  
لهذه الكتل  
ليس سمات البطولة على الفور  
وبلا شعور  
بل مخطط  
تكتنمها الألفاظ في ذلك العالم  
المتحرك  
وبطاقة ضوئية تنبثق من ثقل الحياة اليومية  
فترى العينُ  
بريقاً جديداً في كل كلمة

وبعواطف مجتمعة للمدن البعيدة  
كل الكائنات  
وكل أولئك الذين  
يُحرقون تحت الخيم  
وفي شوارع العالم  
يعانون من التشرد  
يجب أن ينظموا صفوفهم  
وبضربة واحدة وقاتلة  
يتخلصوا من سرطان القرن العشرين  
المتمثل  
في البنتاغون  
و"وول ستريت وداوننج ستريت"  
والشركات الاحتكارية الكبرى  
والعملاء الآخرين من نيويورك عديم الجنسية  
حتى العواصم العميلة لها  
من طهران حاملة تحت نجور الأفيون  
إلى طوكيو... والعمات الهاشمية

إلى فورموزا القذرة...  
تولين..  
لن يطول المدّ والجزر  
إلى ما لا نهاية  
ونحن مؤمنون بحرية البشر  
وبتطوّر العالم  
وبخلاص البشرية جمعاء  
ونحن أيضاً نتخلّص  
من معاناتنا الفردية  
ومن مشاكلنا القبلية  
يوماً ما..  
هذه الأرض  
أرض الظلال والنيران  
وشعور بالنشوة  
يتغلغل في داخل نفسي  
الحب الفردي  
مثل زكام..  
بحاجة إلى المناديل  
أمّا حيننا نحن

بحاجة إلى الناس  
لينمو بين النظرات المخلصة  
وفي رغباتهم الحقيقية المنيرة  
كل الأحياء المظلمة  
وربيعهم الدافئ  
ضدّ قساوة البرد والشتاء  
وهكذا..  
الرأس بحاجة إلى الجسد  
والجسد يخلق الرأس  
والحب وسيط بيننا  
وبين كل ما هو موجود  
في العالم..

\* \* \*

## بردى يقول

"السلام لن يأتي من البنتاغون"

الحمامة التي تهدل الآن  
فوق بحيرات من الدم  
وعلى سفوح جبل من العظام  
والرياح المنصوبة على الرمال  
بقرب سهول من الذكريات  
لن تقود إلى العدم  
ومن جديد يتحرك التاريخ  
وفي ضمير العصر  
أغنية السلام  
وأما في السنة الرياح  
تتموج الأسماء كالعلم  
الأسماء المنيرة



والمشييرة إلى الدروب..  
دروب الخلاص

دمشق.. هانوي وهافانا..  
وأسماء أخرى...  
مات غيفارا، الليندي ونيرودا  
أبطال بلا أسماء..  
بلا عنوان  
في "سيناء والجولان"  
أبطال بلا أسماء  
ولكنهم كانوا رجالاً  
كانوا أشداء...  
وبجهدهم الخلاق  
تحولت العقيدة إلى صواعق  
ورعود  
والأجسام المحترقة  
إلى وقود  
للحرية والوطن  
انظر إلى الأفق

سحاب من البخار والدم  
انظر إلى الجبال  
المغطاة بالدم..  
والشوارع تحت الأمطار الهائلة  
وفي كل مكان الدم.. الدم.. الدم..  
إذن..  
ماذا أقول:  
للأمهات والآباء  
والأولاد..  
أين ذهبت  
الكتب المحروقة  
والأقلام المكسورة  
والأحصنة الخشبية  
والزوارق السابحة  
في الأحواض الفضيّة..  
ثمن السلام  
السلام الذي يأتينا  
تحت أجنحة أسراب في الفانتوم

محملة بالقنابل الفوسفورية والنابالم  
الجرحُ ينزف بلا انقطاع  
والموت فاغر الفم  
والرياح تقول للسهول:  
السلام لن يأتي من البنتاغون  
السلام الذي يئن تحت أجنحة  
ألوف من النازحين  
والمشردين..

لا...

لا... بردى يقول: لا...

وقاسيون

يقول: لا...

لن يُطفأ اللهب والنيران

بماء المطر

بل بالدم

بدم الأبطال..

والأرض

والبشر

وكل ما هنا...  
سينقلب إلى الفولاذ  
والنار  
والدم  
لكي نغسل العار...  
وباللغة التي يفهمها  
العدوّ  
فإلى السلاح...  
لأن ضمير العصر  
أعمى.. يا صاحبي  
أتجه إليك.. يا جولاننا  
لن ينتهي النشيد  
حتى تنتصر إرادة الشعب.

\* \* \*

## وافلسطيناه

هائجُ ماء الخليج  
تحترق الصحراء  
صمدت غزة  
صمدت صنعاء  
كما كان صمود دمشق  
لمدة أربعة آلاف سنة  
وستصمد ألف عام أخرى  
ابتدأنا بالرماح  
بالبنادق في السهول  
في الخنادق  
وسننتهي بالنصر الأكيد...  
الموت سياج.. سياج... متى..؟  
ولماذا..؟

وللحياة فاصل وحدود  
وللموت جدار  
اقتحمنا واجتزنا  
لم يخف الموت كالسدود  
أيتها الذبيحة المقسمة  
يا نداء الأشقاء  
وافلسطيناه....  
يهاجمون الشمس  
وتحترق الأجواء  
ضوء القمر يسبح فوق المياه والرياح..  
ابتدأنا بالرماح  
نداوم بالصواريخ  
والبنادق ذات الأفواه الدامية...  
فوق الرمال  
رأس لوركا  
ورؤوس ألف ألف لوركا  
تحترق الشمس

وتتبر الجدران  
والزنزانة التي يعيش فيها  
محمود درويش  
بالأمل والصفاء....

حان الوقت  
أن نسير فوق المتاريس..  
وخنادق القتال  
دمّ صحراوي الحرارة  
ينسكب حول صنعاء  
فوق المرتفعات  
رياح في الخليج..  
نتنة الرائحة.. نفطية الطعم  
أعيش بالذكريات  
بقرب الأشجار والحياة  
بقرب الأشباح والأموات  
بجانب البيوت المهجورة  
وفي فمي الشفق

حليب دموي من حلمة مجروحة  
فوق صدر التاريخ الحزين...  
أعود وأصرخ..  
إلى الأمام يا رفاق  
يا عمال الموانئ والمرافئ  
يا فلاحي السهول  
لم تستسلم دمشق إلى اليأس  
بنظرات حاملة  
ترقب في انتظار...  
يا أغنية براغ  
يا كاتب البريد  
يا غرناطة  
يا مصرع لوركا  
وبترو بتروفيتش.

\* \* \*



## يافا قبل المغيب

عصارة الشريان والوريد  
على صفحات الغوطة  
والشجيرات في غابة خضراء  
تغني للعصافير  
يا يافا...  
قبل المغيب  
وفي جنّة الليل  
يحيا الحبيب  
بيده البندقية  
حلم الوطن السليب.

\* \* \*

## بحيرة خيرية

بحيرة القرون القديمة  
سوسنة الصحراء  
يا أخت "وان"  
كورنيش معابر الصمود  
يا بحيرتي.. يا حبيبتي  
لن تدوم نكسة أمّتي  
وما يزال شعبي مفتوح الصدر  
لم أشعر بغربتي وأدمغتي..  
أنا من سلالة فارس حطين  
نحن لنا أسماك جاهزة للقلي بلا أوطان..  
ولكل ثوار جبل الزيتون غبطتي  
يا طبريا.. يا قزويننا

أنت البحيرة الكبيرة  
ينايبع آماننا  
أمواجك الصغيرة ترتفع نحو النجوم  
نحو السماء ثائرةً  
والسماء محمرة عند كل غزوٍ  
على أبواب المساء  
وينزف الدم  
من سخورك الصامدة الخضراء  
رائحة الأرض ندية  
ورائحة الليل والأزهار  
ورائحة القلاع المعدنية  
مع قافلة الحرية  
رائحة جميلة  
كالكروم تحت المطر  
الليالي كأشجار الزيتون  
كالرمانة  
محمولة بالانتظار... وبالانتصار  
العيون في خطر

لا نردّ على بطاقات التعزية  
الثورة في خطر والزمن غالي...  
يجب التمسك بالحياة  
الحياة في خطر  
يهاجموننا  
بأكثر من حيّة واحدة كالزواحف  
يريدون  
أن نعيش كالقطط  
بين الضباب والبخار  
والدولار.. العضلات.. والعظام  
التجربة.. فهم الواقع  
ويبرود من حدود الفكر  
وحقيقة ثابتة بالنسبة للمرحلة  
مع تلاحم حقيقي  
بين جميع القوى التقدمية  
بكل جدية.. بدون الهمسات الخفية  
والخلفية...

ولن نترك الشجرة للرجعية...  
لن يفيدينا التعاون  
مع الميتافيزيقية المجرمة  
بل مكافحتهم..  
أكثر فأكثر من الخطوط الأمامية بطريقتنا  
نحب كل شيء عملي  
مع كل شيء منظور ومفيد  
ومن هنا..  
عدم مصافحة الأيدي القذرة  
من وراء البحار.. وفي الداخل  
تلك الأيدي الدموية  
مع الموت الإرادي  
نفتح طريق النصر.

\* \* \*

## النضال والشعر والحب توائم

"فالنضال والشعر توءمان"

"معين بسيسو"

ربما أكتب على قميصي  
الكلمات الصارخة الأخيرة  
من صمتي  
ربما أرسم نقوشا  
فوق التراب  
أو في مكان ما..  
من أوجاع جروحي  
وربما أغني عندما تضرب أقدامي

على طاولةٍ خشبية  
لحناً بريئاً  
ربما أقف صامداً  
مثل جدار  
أمام طغفات دنيئة  
من الخلف.. وأبقى  
مثل تمثال مرمرى  
ولكن الآن..  
أعرف ثمن كل لحظة  
دون ضياعٍ للوقت...!  
وأعمل.. أعمل دون توقف  
لأجل الشعب  
ولأمانينا الشمسية.

\* \* \*

## سواحلنا الهائجة بحاملات الطائرات

سواحلنا هائجة  
مضاربة.. للأمواج الصخرية  
جروح في جسد القارات  
تراكم الغيوم  
الأرض تروى بدم البروليتاريا  
وفي كل الأمكنة  
صيحات المعذبين  
مهندسو الموت  
من واشنطن.. وتل أبيب  
حلف الأطلسي مستنفر  
في كل الجهات  
في الخليج وعلى سفوح جبل آارات  
وسموم البنتاغون



يفسد أغصان كل شجرة  
أما البواخر ما تزال راسية  
قذارة الطغيان.. جحيم الحرائق  
متى تستيقظ البشرية..؟  
الخرائط الواسعة من الأدغال  
والرمال... والخرائب  
وفي ظل الموت وتحت المطر الأسود  
نتنظر الخلاص..  
ونحن نجتاز المسافات  
رغم كل العوائق والصعوبات  
نحو الفجر والصباحات الجميلة  
لا نريد أن نموت  
قبل بزوغ الفجر  
في هذا الزمن الصعب  
أوقات العاصفة  
بل لنزرع شجرة الحب  
كيف نتخلص من العلاقات الموروثة  
إلى متى يبقى المالك والمملوك

ورغبة الغداء في داخلي  
هل السبب.. الشعر.. أم الشاعر؟  
وما معنى وجود صباحات الموت  
وينطلقون...

إلى ساحات الرحيل  
لكي يتخلصوا من الليل  
ثم ساروا في أحضان الليل  
فيضان الثورة  
توقف في منتصف الطريق  
في محطات كهفية..  
سمك القرش والحيتان مستلقية  
وأين ذهب انتظارنا في الحلم  
ونحن نأثمون..؟

افتقدنا الأعاصير  
اكتفينا بالموجة الصغيرة و زوارق الطفولة  
وحاملات الطائرات تجوب بحار الشرق  
ولماذا كل هذه الأساطيل

عفونة هائلة تنقل الرياح  
إلى المدن والسهول  
والصيف بلا شمس  
آكلة لحوم البشر  
مصارعو الثيران  
جميع الوعود.. والأنباء.. بالكلام  
ألواح فخّار.. وجلود  
الحروف المسمارية...  
والأبجدية للكتابات الكبيرة  
ركض وراءها.. أناس عبر العصور  
الخوف والموت والجنون... والحلم  
ونحن على ضفاف  
مقبرة الضحايا  
نتنظر شهداء جدد.

\* \* \*

## قصائد من آسيا

إن قوة الشعر المطلقة ستطهر البشر كل البشر.  
"أيلوار"

أكتب إليك مرّة أخرى  
ومرات عديدة يا آسيا  
أكتب شعراً..  
لقد خضعنا لاحتياجات الدنيا  
متنا.. ولم نمت  
يولد النهار  
ويموت الليل..  
ولنا رغبة في دوام الحياة  
ونحن محتاجون إلى المحبة  
في عنفوان الثورة  
بالثبات..

الأيام واقفة فوق أجفاني  
وأهرع من مكان إلى مكان  
للملاقة المتواصلة  
أريد أن أرى النوافذ مفتوحة للشمس  
قبل أن يتقلص قلب الأرض  
وقبل أن تتوارى  
زرقة السماء عن الأنظار  
وقبل أن تبدأ الحرائق من جديد  
تعالى..  
لنضع قبلة مشتركة  
على جبين الكون  
ونبني أعشاشاً للطيور  
من أوراق الربيع  
ولنحضن الأطفال  
تعالى باهتمام.. بلا حدود  
تعالى إلى الحدائق.. إلى السهول  
لنسعَ لكي تنمو

جميع البراعم فوق الأغصان  
وعرق الشوق  
إن هذا الشقاء المشترك  
بيني وبينك يا آسيا  
سوف ينتهي مع السرور القادم  
من الشمس  
من الجبال  
ومع الشفق..

لحم الإنسان.. ودمه  
والعالم.. موعد الأصدقاء  
مستقبل منير..... كل هذا  
لا يستعصي شيء على الإدراك  
بالتبادل المشترك بين البشر  
أتجه إليك  
يا زهرة الجبال  
يا نهر الفرات  
أنشودة العمر

عشيقه دجلة  
سرّ الحياة  
يا بردى..  
نحو الينابيع الزرقاء  
فلتتغير المناظر مرة أخرى  
اضطرابات عميقة  
على قارعة الطرق مثل التماثيل  
أناس مصمّمون على البقاء  
والوصول إلى النهاية..  
رغم كل العقبات والعراقيل  
يشقون المسافات..  
النساء والأطفال...  
والرجال الأشداء  
من العمال والمتقنين  
والضعفاء المساكين  
يحومون حولنا من قلب هذه الديار  
تعالى.. لنقرأ السطور  
كتاب مفتوح أمامنا

ومن هنا نقول:

طريق الخلاص..

من اليأس والشقاء

من الألم الصارخ

من الطبيعة الصامتة بلا حراك

بلا جرارات.. بلا حياة

ويجب أن نتعرف ونثق

أن السعادة متخفية

وراء كل جهد إنساني

وراء كل عمل شاق

ولنهدم كل الأبراج العاجية

ونقضي على الطغيان..... والنوم

وننتقل من الحلم إلى الحقيقة

إلى البناء

السدود...

السكك الحديدية

ولنكتشف باستمرار



علاقات جديدة بين العالم والإنسان  
والحصول على النور  
والخبز والماء.. والكساء والزهور والبذور...  
لأن نصيبنا من هذا العالم ليس  
الأوساخ والقبح والعار  
الجوع والعطش.. الحقد والإنكار  
ما زالت آثار أقدام الشهداء القدامى  
على الأرض..  
وتهطل القنابل فوق ميناء هايفونغ  
هانوي البطلة في معركة الشرف  
تحت كابوس مثقل  
من ناطحات السحاب في نيويورك  
صيحات النمرور  
والموت على غير الانتظار  
سنبني فوق الأنقاض  
أسوار الثقة والأمل في الحياة  
جاءت الساعة كي نحصيهم

فقد أوشكَ سلطانهم أن يزول  
أكتب إليك.. وأرى وجهك.. من بعيد  
لماذا استولى الاحمرار  
على وجهك المتعب  
مثل تفاحة الجبال..  
أتخجلين من حبك لي  
من حبي لك...؟  
أرى.. وترين تلك المحبة موجودة  
في كل صدر وفي كل العيون  
قطرة الصفاء المتلألئة بعد الدموع  
لأننا...  
نحن نلقي بحزمة الظلمات إلى النور  
ونحطم أفعال الظلم الصدئة  
بشرّ مقبلون لا يخافون على أنفسهم  
لأنهم على ثقة بكل البشر  
ولأن كل عدوٍ بشريّ الوجه  
يزول.

\* \* \*

## عظام غيفارا تنزف الدم

أرى في وجهك..  
كل آمال الآتي  
وقلبي حزين  
مهاجر  
في أرض اليباب  
آثار أقدامنا على الرمال  
وفي ممرات ضيقة  
قوافل محملة بالآمال  
تجتاز الجبال  
هندكوش  
جلال آباد..  
شوارع برلين  
تبكي على الجدران المهدومة

والخداع في بروتوكولات  
والسياسيين

ألف صفحة..

من الصداقة والسلام

يا للخجل..

يقولون عنك يا كاسترو

في بلادك..

قليل من الحرية

والديمقراطية

كيف أحتفل بعيد ميلادي

وعظام غيفارا تنزف الدم

ولكن أنا واثق

غداً.. العلم الأحمر القاني

والمطرقة.. والمنجل

تتموج فوق سهول

باراغان.. من جديد

رغم جاوجيسكو

والتخاذل المدفوع بالبناء من جديد

ورغم معرض أزياء النصر  
في الشوارع  
موسكو الجميلة  
غداً.. غداً..  
موعدا القريب  
تعطي لشراييننا الدم..  
الدم المراق  
في معارك ستالينغراد  
والحصار الطويل  
حول برلين  
ماك آرتي بالمرصاد  
حذار.. حذار.. أيها الشباب  
من لدغة الثعبان  
بنتاغون يقط.  
ولكن.. لن نفقد الأمانى

\* \* \*

## الأنشودة الأولى

تامارا..  
في داخلي قهقهة تبعث بي البكاء والنحيب..  
أحس نفسي كأساً في يد القدر..  
يملؤني متى يشاء..  
ويفرغني متى يشاء  
اشربوا أيها السكارى..  
أيها الهاربون من القهر..  
ترنّحوا وسدّوا آذانكم عن الموسيقى التي تنطلق  
من الوجدان البشري  
سدّوا منافذ القدر بمخيلتكم المتعبة..  
اوقفوا سهيل الخيول..  
ولكن لا تسدّوا منافذ الرؤيا..

انظروا...

تامارا..

انتشت دون شراب..

أترنح لأسابق خطاي فأجد صداه يسبقني

أهرب من خطاي فأجدني مقهوراً يخونني الدمع

أهرب من القهر والدموع فأجد صدى خطواتي

في داخلي نحيباً

وبكاء..

ظلامٌ وأشباحٌ تصارع جدار وحدتي..

\* \* \*

## الأنشودة الثانية

أسيرُ في درب لا ينتهي أبداً..  
فلا أجد سوى أصوات..  
وصوتك آتٍ من قديمٍ قدم التاريخ..  
وأصوات ذئابٍ تعوي..  
ويختلط عليّ الأمر..  
ويضيع الدرب بأنشودة عيني المتصلبتين عبر زمنك  
ويرقص في داخلي الليل طرباً..  
وتبكي النجوم حرقه على بائسٍ جلس تحت قنديل  
المنعطف الأخير  
يهرب إلى العتمة هرباً من النجوم التي تسكب أنشودة  
الدموع  
أراك نجمة تائهة بين النجوم يا تامارا



تنظرين من خلف سراديب الزمن المتعفن في زوايانا  
تائهً جلس تحت ضوء الشارع في العتمة  
تلفني العتمة يا تامارا...  
وتسامرني أشباح الليل..  
يرقصون طرباً على أغنية تبعث الشجون بالصخر  
الأصمّ  
لتسكب الدموع...

\* \* \*

## البداية

أرحل اليوم حاملاً في طياتي ألف كفرٍ بالمجهول  
أحمل آلاف اللعنات...

آلاف وملايين من الأسماء والعناوين  
أرحل بعيداً حيث يناديني صدى السنين القاسية  
تامارا..

بالأمس كنا نقف فوق تلك الجبال ونجوب العالم  
بغمضة عين..

نضم السنين بفرح طفولي في أحضاننا  
نطلق صوتنا سوياً...

ويعود صدها حاملاً إلينا المستقبل ملوناً بألوان الربيع  
اليوم لست أسمع سوى صدى السنين المتصدئة  
وبدلاً من احتضان السنين

بات الليل يحتضني..  
يكبّني..  
ولم تعلميني كيف أرمي نفسي في أحضانك  
كأنك كنت ترسمين نهايتي..

\* \* \*

## الطريق المعتم

تامارا..

ضميني إلى صدرك طفلاً

حاجته دفء الأمومة المغروسة في جسد الأرض..

أمي..

أرمقيني بشفقة من عينيك الذابلتين انتظاراً..

فبعض المذنبين يستحقون جزءاً من الشفقة..

وذنبني أنني أتيت العالم وحيداً...

انسي أنني أتيت إلى هذا العالم..

حافياً..

عارياً..

مغمض العينين ينتظر المجهول..

باكياً ينتظر مرضعته..

ومن يمسح دمه...!

تامارا..

لا تضحكي فهناك من يبكي النهار ليلاً..  
لا ترفعي صوتك غناءً..  
فالموتى نائمون..  
يسترقون السمع..  
لا توقظيهم من غفلتهم...  
لا تتكلمي..  
فالكلمة قوتٌ للغد..  
لا تلبسي الثراء..  
فهناك من هم عراة تحت الشمس  
الراحلة في جنازة الفقراء الأبرياء...  
اقتطفيني زهرة..  
وضميني إلى صدرك..  
بجانب قلبك..  
شميني حتى الغثيان..  
واسكري من رائحتي...  
أشبعي عينيك مني..  
وارسميني على قبرك...  
قدميني إكليلاً لتلك الجنازة التي ترافقها الشمس..

تامارا..

لا تبكي..

فالبكاء.... صلاة المذنبين ليكفروا عن سيئاتهم..

أخطائهم..

ونحن لم نخطئ..

بل كان خطؤنا

هو مجيئنا لهذا العالم.

\* \* \*

## في أسواق الضياع 1

أحاول أن أتذكر وجوه الأطفال..  
فأخلقهم في خيالي..  
أراهم يمدّون أصابع الاتهام إليّ قائلين:  
جئت تبّيع الجدة في شوارع دمشق..  
فأدفع ثمنها كل يوم  
ويغيّبون بعدها..  
أصرخ مكتوماً (رجعت الجدة.. رجعت الجدة..  
رجعت الجدة يا أطفال...  
لم تعد الجدة..  
الجدة مصلوبة في صدرك..  
وأنت مصلوب في عينيها على طرقات السفر..

مصلوبة في داخلك..  
جئت تبيعها..  
جئت تبيع الجدة  
وتخرج من فمي كلمات لا أفهمها..  
ثم أصرخ...  
"لمن أبيعها.. لمن أبيعها يا أطفال؟"  
لا أحد يشتريها، ووحدي أدفع ثمن ذلك دموعاً..  
يطرقون رؤوسهم على الأرض..  
دون ردّ  
فأصرخ.. "أتشترونها مني يا أطفال؟"  
يضحكون ضحكات أحسّها نحيباً..  
"نشتريها..!"  
جدّات.. وجدّات ستصلبن في صدورنا  
فلمن نبيعها نحن إذن؟..

\* \* \*



## في أسواق الضياع 2

تامارا..  
لمن نبيع الجدة..؟  
لا أحد يشتريها يا تامارا  
وأعود إلى غرفتي وحيداً..  
حاملاً الجدة مصلوية بداخلي  
أنزوي وحيداً  
وأولج إلى غرفة ذاتي..  
تستقبلني رائحة..  
أهي رائحة عفن الغرفة أم رائحة الألوان؟  
لست أدري...  
أجلس وحيداً فلا أجد من يكلمني سواك يا تامارا..

فمن أنت لتتقبلي الكلام معي..؟  
أجلس وحيداً وأقلب نظراتي على وجوه شخصياتي  
فأسكر من وحدتي  
وأموت كل لحظة لأدفن في صدري..  
ملايين القبور لحظة واحدة تامارا..  
إن دفنت فهل تُدفنين معي؟  
أم ستغنين وحدك أغنيات الدموع؟

\* \* \*

## ربابة بلا أوتار

تامارا..  
أعيشُ عمري بأحضان الليل  
والليل لا شبابيك له  
وكلُّ أبوابه مقفلة  
وفي داخلي.. تسبح أشباح الظلام  
أقاوم ملايين الشلالات في داخلي..  
الحزن في داخلي عشعش ملاييننا  
والحزن بمظهرك ثوب ترتدينه  
اليوم أراه يتفجر في عينيّ الذابلتين  
وأحييتني لملايين الجمل من أحلامي  
وملايين المعاني...  
أصبح طيفي يطاردني..

وأصبحت ربابةً عتيقة..  
تبكي بحرقة لليلي الميت بداخلي  
أحييتني لسائل يسأل عن طريقه  
إيه يا تامارا..  
لا بدّ وأن تشرق تلك الشمس التي عرفتها  
ورسمتها في عمتي..  
وليشرق شمسك اليوم

\* \* \*

## دروب معتمة

تامارا:

إن الدروب البعيدة التي لم تلمسها قدمي  
ولم تستقبلها عيناك سوى على خارطة الأشياء  
تخبئ لنا الكثير من أحزان الوحشة  
والضياع والسفر...  
أدفن وجهي في صدرك لأتدفأ من وهج عطفك...  
وأستكين بحنان عينيك...  
أرسم أشياءي في الفراغ..  
أرسم شخصيات لم أقابلها سوى  
في مخيلتي..  
ثم أنفخ دخان سيجارتي لترسم الضياع  
في الفراغ...  
البرد القاسي  
أحبك

\* \* \*

## لوحة في فراغ الحزن

تامارا:

بات الشلل يسري في عروقي..  
ليحجب عني كل الماضي  
أحاول أن أتذكر أمي..  
وأخلقها بخيالي لأراها وحدي  
فأجدني خلقت دموعاً جفت في مآقيها..  
والابتسامة تيبست في وجهها..  
أحاول أن أمسح دموعها..  
فأجدها تتحول إلى دمة في عيني..  
وأنظر من يمسحها..  
أحاول البكاء فأجدني مقهوراً..  
وتتساقط دموع الألم لتتحول إلى أرقام مبعثرة

تتحول إلى أحرف  
فتشكل كلمات..  
أغنيات.. أنشدها وحدي  
ولا أجد من يسمعها..  
تامارا..  
أنتِ أغنيات دموعي..

وحدي أغنيها..  
ووحدي أسمعها..  
أشُلُّ صوتي أيضاً يا تامارا؟

\* \* \*

## قلب الشاعر

مثل المرايا الملونة في الشوارع  
قمح مسلوق في "كرم الجبل"  
وهو رماد في أيام الأعياد  
قلبي مثل جبل وانتظار  
فوق أسطح المنازل والقصور  
بمحطة بغداد...  
قلبي ليس ألعوبة بيدي  
نساء الأسياد  
وإن حاولن ذلك  
لأنه ضعيف محبوب  
في الأكواخ  
قلبي سجين في "سايغون"



قتيل، قدّيس، خالد  
فوق المرتفعات، في الملاحم  
ولكنه جوّاب في القتال  
لاجئ صبور عبر الزمن متمرد الآن  
مسمار في جلد جاموس  
غليان وحقد في المخيمات  
قلبي صديق للصغار  
نشيد في الهجمات  
شمس فوق جبال آسيا  
قلبي 300 غرام لحم  
جبل.. صخر وزجاج  
قلبي نهر و...قاسيون  
وجسدي دمشق  
مسكون بالأمال.

\* \* \*

## النكسة والنتيجة

أمام عيني لوحة للفنان "توتيزي"  
وليدة مأساة الحرب  
وأرى تحتها تلك الحروف الذهبية  
نحن بحاجة إلى السلام  
أبيات ملتبهة في فمي  
وأغني..  
ستكون معك في العاصفة  
ونسيت إلى الأبد أشعار  
بودلير.. فران.. فاليري  
ولم أقرأ فيما بعد..  
وتركت ت.س إليوت بيده قيثارتان  
وهو يغني على رمال "ماركيت"

وخطر لي سؤال  
من هو قاتل "كندي"  
وقاتل الشعب  
في العريش والقنيطرة  
والدومنيكان..؟  
إنها تلك المغارة السوداء  
الطبقة الفارغة الضمير  
التي تخلق وول ستريت..  
و..ليدي مكبث  
الطاغية تمزق لحوم البشرية  
وتعجن نساءنا وأطفالنا  
تحت الدبابات  
أنا ابن الحياة  
ابن الكادحين.. ليل ونهار  
العدو آتٍ من الخارج  
كشياطين الظلام  
مجنوناً هائجاً

والشعوب بحاجة إلى السلام  
وإذا ألهبت النار هذه الأرض  
فإن الإنسان لن يبنى..  
الإمبراطورية الرهيبة تحكم فوق الأرض  
كابوس حديدي اللون  
يغطي جميع بقاع المعمورة...  
المناجم لا ترى ضوء النهار..  
البنّاعون يبتلع جميع ثروات العالم  
والتعذيب مستمر..  
كلّ بيت وكلّ مأوى للمشائخ  
والدنيا مجزرة عظيمة..  
من ديتروت إلى أنغولا  
الكنائس كثيرة في بلاد "كروب"  
في بلجيكا  
ولماذا أديس أبابا مسرح الصهيونية  
والمحتل ذو اللحية في دور يهوذا  
متعاونٌ مع قاتل المسيح

وهنا في القدس  
يا أخي اليساري  
أعرف أنك لن تخاف من النار  
حرقوا يدك اليمنى  
وسوف.. يحرقون الأخرى  
يلزمك الصمود..... أكثر فأكثر  
أيها القلب.. ليس لنا خلاص  
إلا بالكفاح المسلح..  
قال ناظم حكمت: "صدقنا الكادح  
العدو قهّار  
العدو منهار  
العدو جبّار  
العدو ماكر  
وليس لنا طريق سوى  
أن نصل إلى الهدف ملطخين بالدماء  
ونقطف النصر بالأظافر..."  
وكان هو في السجن..

وهو واثق من النصر  
مع أبطال العقيدة  
مع الشهداء القدامى للاشتراكية والحرية..  
والآن في هذه الأيام  
لسان حاله يقول لنا:  
لشعب سورية..  
يا أبناء ميسلون  
يا جماهير قصاع وكيكية..  
يا فلاحى جندر وأم الأميال..  
يا فرسان الجزيرة  
يا أسود "بحرة بملكة وعقيربات"  
يا أسود "الدير والفرات..  
يا حائكي حماة.. وعمال حمص  
يا رفاق تل الدرة وباب النيرب  
يا صيادي الميراج.. والشاطئ الأزرق"  
أنتم وقفتم وجهاً لوجه مع العدو  
كواقفة "ديسيكوبول.. كاثينا واسبارطة"

كتاريخ..  
غداً.. لا صلح.. لا استسلام  
بل نضال.. على الأرض  
وفي السماء  
في الخنادق.. النصر.. لكم النصر  
أنا معكم يا أبطال العالم  
ومعكم العالم الثائر  
فيا بل.. لن يتهدم برجها مرة أخرى  
تيمورلنك على وشك أن  
يفقد رجله الأخرى  
في خليج دانغ  
وجنكيز لن يعيش من جديد  
خرافة هتلر دخان الحرائق..  
ورأس القيصر ألعوبة بين أيادي  
أطفال روما  
إلى الأمام يا دمشق  
يا قلعة للحرية

يا معبداً للسلام  
يا حامية النور ضد هجمات الظلام  
يا دمشق.. يا بداية...  
الحياة تبدأ منك حبة حبة.. ثم تتعاضم  
كالصخور الملتهبة  
بطاقات العيد تنزل كالندى فوق  
الربوة والشام  
من هافانا ، من فنزويلا  
وتعزف الأوركسترا لحن الحرية  
"نعيش ولا نموت"  
وأطفالنا.. يبيكون رغييف خبزهم الثاني  
ويشترون باقة من الزهر  
لكي يضعوها على مقبرة الشهداء  
أزهار الياسمين والزنايق الحمراء  
إن نهر الفرات ودجلة يمكن أن يحولا  
من جديد إلى جنة عدن  
بجهد شعبنا العظيم.. لا بالنابالم



نملك القوة.. الإيمان..  
وحب التراب..  
يدفعنا إلى الأمام

\* \* \*

## تل عزيزيات فيتنام واليانكي

خريطة العالم واسعة  
وأمریکا بقعة كبيرة فوق هذه الواسعة  
ومنبسطة كما قال نيرودا..  
كجلد جاموس  
واسعة خريطة العالم  
وهذه حقيقة لا جدال فيها  
فيتنام صغيرة  
وبعيدة عن أرض اليانكي  
ألوف الأميال  
في صدرها تحمل أشياء كثيرة  
كبيرة جداً

كالإيمان..  
قلاعها متينة كالصدور.. كالحقد  
فيتنام صغيرة جداً  
ولكن نجمة كبيرة فوق جبالها  
تتيردروب الثورة والنضال  
المعلمة الكبيرة فيتنام  
اسمها مذكور في الرسالة الأخيرة  
الموجهة إلى الشعوب والثوار  
يا لفيتنام وشهدائها الجبابة  
وسوف نتعلم ونقاتل...  
كبيرة أمريكا  
كبريطانيا القديمة  
التي كانت لا تغيب عن أرضها الشمس  
والآن هي في ركاب اليانكي  
تحت رحمة الدولار كالعوية  
وسوف تصغر أمريكا أيضاً  
تل العريزيات

اسم صغير ونقطة في الخرائط  
هناك.. في تل العزيبات  
في كل ليل حزين نسمع أصوات الشهداء  
كحقد دفين  
رأيت بعيني الجنود العائدين من المعركة  
وليس في عيونهم دمة بل حقد  
ويقولون إسرائيل عبد..  
عبد حقير لأمريكا  
يا أمريكا..  
يا تركة جون فوستردالس  
يا وكر الظلم  
يا سيرك ماكنمارا  
يا كوبوي  
يا بوليس  
يا عدو الحياة

\* \* \*

## الجندي المجهول

ولد في المكان الذي  
يرمز إلى بطولة شعبي  
في تل الفخار..  
تلك البطولة كانت كبيرة أكثر من الحياة  
ولدي..  
ترعرع بين الصخور  
بين عظام الشهداء  
في فمه الدم..  
في فمه نشيد الحرية..  
درس في مدرسة الثوار  
بين يدي المدربين الكبار  
أمثال غيفارا

شھید الحریة والنضال  
فے رحلة الشعب  
تعلم حب الحیاة..  
تعلم أن یحبّ النور  
أن یحبّ... دمشق  
أن یحبّ الثورة  
من هجمات فیت كونغ  
من جبال بولیفیا  
من أرامل المنصورة  
والقنيطرة  
ومن شهداء القناة  
تعلم الموت لأجل الحیاة  
تأثر ینظر إلى أمواج البحر المتوسط  
تأثر  
ابن الملايين...  
لن یعرف المساومة

مع الإمبريالية والصهيونية  
العالمية عدو الرجعية  
تأثر  
راكض إلى النور  
إلى السلام...

\* \* \*

## في ملحمة الجولان

في وسط الظلام الدامس المخيم  
على مناطق شتى في العالم  
أسطورة "دوف" ...  
أسطورة القنابل المحرقة ماتت...  
لن تؤثر في الوجوه البرونزية  
والقلوب المنسوجة  
من ألياف الوطن والثورة  
روح العسكرية النازية  
من جديد تتحرك  
تحت راية العداة للإنسان  
ويتحرك البنتاغون قلعة الطواغيت  
ويتحرك القراصنة



(جيش الدفاع الإسرائيلي)!  
الآن.. الأسطوانات الدموية تدور.. وتدور  
في سيناء والجولان  
ولكن القلوب انقلبت إلى صخور  
والعيون كلها صواريخ منطلقة نحو الهدف  
ما أروعها..!  
كانت هجمات الأبطال.. نحو المستقبل  
ويبقى صوت الإنسان  
أقوى من دوي المدافع  
هاهنا.. أرض الجولان تشهد  
لأننا.. نحن الآن في عام 1973  
لسنا في 1967  
الأم تأخذ المكان والعتاد  
ولن ينسدل الستار على المسرح  
اسمعوا الآن..  
الملحمة التي تدور وقائعها  
في سيناء.. والجولان

انقلبت إلى سيمفونية  
في كل محطات العالم والساحات الحقول..  
تحولت الأيدي والأشجار إلى أنغام  
هاهنا في الجولان

\* \* \*

(مختارات من رسائل دمشق إلى ميريا)

الرسالة الأولى  
"من دمشق إلى ميريا"

رأيت فوق شفتيك  
ولادة ابتسامة حمراء اللون  
كيوم سعيد  
منبثق من آلامي البعيدة الآفاق  
يا ميريا..

لن أستطيع أن أقبل  
سوى سفوح الجبال  
وينابيع الأنهار  
يقولون لك ميريا

ولماذا يقولون: كلوديس  
أو بنت أوراس..؟  
طفلة من منصوره  
أو غوغش القوقاز  
من القنيطرة؟  
كم أحب أن أنظر إليك  
كم ينظر الناس...  
ولكنك لن تري في عينيّ  
شعاع رغبته

كسير الأضلاع...  
لأني أضم إلى صدري  
العراة والجياع  
من كلكتا و... مدراس  
وجريحا من مسعدة  
ونازحا من بانياس..  
ووهبته قصائدي

إلى رفاق غيفارا  
وفرسان كارلوس برستس  
وأبطال القنيطرة وخان يونس..  
تمرّين أمام عيني يا ميريا  
كشعرٍ سحري الكلمات  
المستيقظة في الصباح  
الراكضة إلى الحقول..  
أنظر إليك.. ولكن  
في قلبي وجمجمتي طلقات  
تصطدم بصداها في البحر الهندي  
وفي جدران سد مأرب  
قلبي.. ليس لي  
وليس لك يا ميريا  
قلبي هناك يلهث  
في صدر ثكلى أسيوية  
في جوف أفريقية فتية  
مع ابتسامات الزوج

يخطط لحن الحرية  
إمّا النصر  
وإمّا الأبدية..!

\* \* \*

## الرسالة الثانية

"من دمشق إلى ميريا"

أكتب لك..

من صفوف الفقراء المنسيين

من بين العمال..

ومستخدمي المباني والفضائق

وبلغة المناضلين في الليل

والمقاتلين

من أفواه البنادق..

من مداخن المعامل..

من حقول القطن الأبيض

والأرض السمراء..

وأقول لك جواباً

لأسئلتك الليلية  
أنا هنا في اليسار...  
أقصى اليسار  
لأنني من سكان حقول الدم والأنهار  
في الخط الأول لمواجهة الاستعمار  
وهدي في نحو البحار  
المتلاطمة الأمواج.  
يا نهر الصمت العظيم  
ليس للإنسان نوعان  
في وطن الإنسانية  
بل إنسان فقط  
يحمل فوق أجنحة الدهور  
ضمير الحب الحقيقي  
إلى الأجيال السعيدة الآتية  
إذا تسأليني عن قلبي..؟  
متدفق كالشلال...  
وينبض كالبحر لا حدود له..



مقدس عندي  
كلّ ما يخرج من التراب..  
كالمعادن.. كالأشجار.. مثل الماء  
مثل الثمار

أقول لك من هنا  
من مشارف الحياة  
من سياج الكروم  
من بلد الزنايق  
مع البراعم المتفتحة  
وفي كل صباح  
جنديُّ أنا..  
تحت راية الملايين.. المرتفعة  
من فوق الصدور.. إلى قمم آمال الكادحين  
انظري إلى السماء الزرقاء والشمس  
والنار...

من خلال عبير الليمون والبرتقال  
واسمك المكتوب في عمق النجوم

وخيالك المرسوم على الدروب والظلال  
أنا أشعر..  
بأنني لست وحدي  
أفتش عنك في القطارات والمحطات  
في حقول الثلج وفوق الرمال..  
ومن أنسجة الأوراق المرتعشة في الموانئ  
وثكنات الجنود...  
نريد أن نراك  
في الرائع المعقول  
ليس أمام مرآة مصقولة  
وبين أصابعك قارورة مانيكور  
دبابيس شعر وأمشاط  
كريهة هي الأجفان المصطنعة  
لا تتسي أنك  
رمز النضال والثورة والوطن  
أنك جزء من الملاحم الكونية الحية الخالدة

في أسطورة العصور<sup>(1)</sup>  
في النشيد الشامل<sup>(2)</sup>  
ورسالة من الصحراء  
و..... زين<sup>(3)</sup>  
كنزنا الخلاب  
هدية الأرض وابنة الشعب..  
ربما الآن.. طريقك موصدة  
بالأفاعي والجرذان..  
وثعالب الصحارى حول دارك المهيب  
كلاب القرى.. حشرات المدن  
ولكن لا تيأسي  
يجب أن تنظري إلى آفاق حقول الأرز  
في فيتنام...  
إلى الأزهار النضرة في حدائق الأطفال..

---

(1) فيكتور هوغو.

(2) نشيد لبابلو نيرودا.

(3) عشيقه ممو (ملحمة كردية).

وإلى الباكيات في بوابة الشام  
مثل إكليل شوك مغروس في قلبي  
القلب الذي فيه نور ونار  
أمد يدي إليك  
مثل يد طفل مدرسيّ  
مثل عامل معرّق الجبين  
صريح الكلمات..  
أمد يدي..  
ليس من وراء الصخور الرمزية  
الصارخة إلى القمر..  
بل من هنا  
من بساتين دمشق  
من قلب ثوار ظفار  
من معتقلات تونس الخضراء  
من صومعة جبل الفكر<sup>(1)</sup> ...

---

(1) بلدة شيخ الحديد. مسقط رأس الشاعر.

من صفوف المقاتلين  
من إرتيريا  
من أنغولا وسيناء  
مصيرك مرتبط بمصيرنا جميعاً  
بمصير الحرية  
للكائنات المنتجة  
الحية المتحركة..  
ليس بالأشباح والمقابر.. والقصور  
فلنتوغل بين هذه الكتل البشرية  
الأشجار تتكلم وتعطي الثمار  
أيضاً الأغنام والأبقار..  
هيا بنا..  
ولنتعرف على جميع سكان هذا العالم الضيق  
من رأس الرجاء الصالح  
إلى أرض تشرنيزيوم المستيقظة  
بعد نوم ملايين السنين..  
ولنفتح ذراعينا للحياة..

للجمال والأيام معاً..  
انظري كيف ستتشر أفكارنا في العالم  
مثل الأمواج.. مثل الغابة  
مثل أعماق هذه الأرض والتاريخ...  
عالمنا على حافة الأخطار المؤقتة المقترية  
يوماً بعد يوم يجب أن نكون بالمرصاد  
حتى نجتاز كل جزر المفاجأة  
لا تخافين.. لن تنهش أكبادنا النسور  
في مذابح الكارتيلات والتروستات  
لسنا وحيدين في الميدان والمخيمات  
ملايين وملايين من الناس  
تحت راية النضال والأخوة  
تسير تحت غاية واحدة  
انظري إلى قيصر البنتاغون  
فاقد الأعصاب...  
وإلى العريف المهرج المغرور  
ذو الحدقة الواحدة

والكاوكي العميل  
انظري إلى الملوك المشلولي الإرادة  
يكملون دورتهم في الحياة القذرة  
ولهم حساب..  
جماعهم ستحطم بين قبضة الملايين  
الحاقدة

الراكضة إلى السلام  
وها نحن الآن في خط الدم  
رغم النابالم.. رغم الفانتوم  
وأقفاص النمرور  
والأساطير بلا ضمير..  
رغم التاريخ المظلم  
ولي عهد الفاتحين والجبابرة  
باسم الأموات والأحياء  
باسم الزنوج..  
باسم الآباء والأبناء  
باسم الآتي الحبيب والقريب

سنرحب بالأبيض  
بين أحضان الأزرق دون حدود..  
هيا.. انضمي إلى الصف  
لكي نتخلص  
من موتنا اليومي مراراً عديدة  
أنا ها هنا.. في اليسار  
أقصى اليسار.. في بغداد وعمان  
في مراکش والسودان..  
في السجن.. في كل مكان  
بلادي في أتون المعركة  
إلى الأمام ولينقشع الظلام..  
إلى الأمام.

\* \* \*



## الرسالة الثالثة

"من دمشق إلى ميريا"

عند شروق الشمس  
أمسك بأعناق الجبال  
وأقذف بها إلى الصحارى  
لكي تنبت الأشجار  
ثماراً أشد مرارةً  
ويزيد من عصارة الحياة  
أخذ بيدي الأمواج  
ألهبها بالنار  
من غضبي المتكوّن  
عبر آلاف وآلاف السنين  
أحرق قضبان السفن الحديدية

أفجرها بالحمولة المثقلة الأذهان  
على وجه النجوم المهترئة..  
لكي يهطل الضياء  
عميقاً فيمسح الحزن  
وليتغير وجه الأرض  
وقشر البركان  
أخذك يا حبيبة  
ومن فؤادي المتأرجح  
بين بحيرات السكون  
وغليان الثورات الشابة  
بالحرارة وبالنور...  
أضفرُ دموعَ الفرح من عينيك  
كطفلٍ رضيع  
ومن أنهارك التي تجري بالأمل  
ومن دمك الحار  
لتكن الولادة بالأطفال أمتن رجولة  
بصلابة أقسى من الغرانيت والفولاذ

وسنقاتل هجمات المصائب المرّة  
وسنضع النقاط  
في نهاية كل سطر  
لحكايات جيلنا المرعب  
بانتصاراتنا الحلوة البراقة  
لا تقلقي يا أرض  
فالحياة تزحف لحظة بلحظة  
لا تقلقي فأناشيدنا للحب والحرية  
نابضةٌ بالدم  
جديدةٌ ومعاناتنا

ولأنني أرى كل شيء  
كما ترين أنت  
من خلال الشفق  
والقمر والشمس..  
في دروبك المحرقة كالحب  
منعشة كالسنابل..  
كالقمح..

وأرفع بيدي رايتك  
إلى القمم الشاهقة  
وفوق المدن التي تتعارك  
ليس لأجل الرغبة فقط..  
بل لتبض ذراعي الأفراح  
بمعطيات خالدة  
لبني الإنسان  
وبهذا الجيش العرمرم  
من النساء والأطفال  
نبنى الحضارات الجديدة  
على شطآن الأنهار الكبيرة  
وفي شواطئ البحار  
البحار الضاحكة  
لمجد الإنسان.

\* \* \*

## الرسالة الرابعة

"من دمشق إلى ميريا"

بالقرب من جبل صامد  
تحت هذه الغمامة  
على ضفاف بردى  
كل الأبواب الموصدة  
مفتوحة لنا..  
ينابيع جديدة..  
على دروب الفجر  
بعد اجتياز عالم من حلم متعب  
بعيداً عن القلق والرعب  
أكتب إليك...  
لقد حطمنا المرايا

لغة العصر يا ميريا  
لن تكتمني أن تكون صرخة فقط هناك  
تحت قباب المباني الكبيرة  
فوق المنابر  
أو في أحضان الصحف العريضة  
وداعاً يا كسلنا القديم  
طريقة البؤس و.. الحرمان  
وعلينا أن نفكر في خط مستقيم  
البحر..  
لا نستطيع أن نزرع فوقه البذور  
والأمواج الزرقاء لا تعطينا الثمار  
ولا يمكن للإنسان  
أن يقطف عنباً من شجرة التين  
وهل صحيح من ظلمتين يخلق النور؟  
إن السهول والغابات والقرى  
بالانتظار...  
وسترين الأرض السمراء

كيف تتعري!..  
ننظر إلى هذا العالم بمنظارٍ جديد  
ولا نقول نادمين:  
" كان كنزاً غامضاً في الأرض "  
بل نفتش كيف نصل  
إلى الينابيع الجديدة...  
لقد علمتنا الحياة  
سطوراً على الأرض  
وأرتنا صفوفاً من الأشجار المثمرة  
أعمق التأثير من مسيرة الأجيال  
خيوط العنكبوت ممزّقة  
أما الشهيد فسيمتلئ بالعسل  
كترتيب النور والتراب  
والحب  
تولد منها الحياة

\* \* \*

## الرسالة الخامسة

"من دمشق إلى ميريا"

أكتبُ بشراييني فوق التراب  
أحمل وجهاً نظيفاً  
قلباً نظيفاً  
كصدر طفلٍ..  
أحفرُ في الصخور  
كلمات من قلب هذه الديار  
وأتجوّل عبر البحار من فوق الأساطيل  
وبعينين من لهب النيران  
ندخل سووية مع العذارى  
على مداخل المدن التي  
تلهث أنفاسها الحارة قبل الشفق



حتى نصل إلى مملكة الصبح البراقة  
وفي دربنا  
نمرّ من قرانا التي مداخلها  
تبتدئ بالمقابر  
كالمدن القديمة  
وتنتهي بالمقابر  
ندفن عواطفنا الدافئة من الحب  
في أعماق الصمت.. والغضب  
ونصرخ بملء أصواتنا على وجه  
الرياح الغادرة  
إلى متى نبقى  
ضحية الناموس المصنوع  
من القش والخشب...؟  
وتحت ظلال العار المنتصبة  
كالمشانق.. كالأشباح..؟  
مغلولي الأيدي  
تعال.. هنا  
نفسل نعاسنا

بدمنا الذي  
ينبع من ينابيع متفجرة  
تحت الضغط الإلكتروني..  
حذار يا وطني..  
حذار يا حبيبتني..  
الاختباء من الظلمة  
من أعين الأقزام  
من الأيدي القذرة  
الطويلة كالطرق  
هذا ليس رعباً  
وفي انتظارنا  
الجبال المسكونة بالصقور  
الوقورة بطيرانها  
لا بد لنا أن نصل إلى هناك  
مع بزوغ الفجر.. بعد تعب  
لا مثيل له.

\* \* \*

## الرسالة السادسة

"من دمشق إلى ميريا"

أكتب إليك  
بشوقٍ قديمٍ..  
من صوب البوادي الندية  
مثل الراعي الذي ينادي  
من كهفٍ إلى كهفٍ..  
لقد علمتنا الحياة  
بناء السرايب تحت الأرض  
وحمل السلاح  
تعمير البيوت المدمرة  
زراعة الأرض  
وشق الطرق والمعاناة...  
عينك أعمق من عين النبع

وشعرك مثل رموش الصنوبر  
ومن هنا  
أقول لك يا ميريا  
يا ابنة الحقول  
يا أخت النضال  
يا سجينة الجدران العالية  
لا تخمد النار  
في مواقدنا الجبلية  
وأيضاً.. في قلوبنا  
لن تجلب الأنهار النبيذية  
الأسماك إلى البحار  
ولتعصف الرياح  
ولتلهب النيران  
ورغم كل شيء  
تبقى هذه الديار  
على معطياتها مع الأشجار  
وتتزين الثمار  
باحمرار لا مثيل له

كخدود نبات الجبال..  
ويكبر الجنين في بطون الأمهات بارتياح..  
لتحاصرنا العواصف  
ولتداهمنا الأمطار والثلوج..  
ولكن ثقي يا ميريا  
فشمس بلادي لن تتأخر عن الإشراف  
وقلبي ينشد بلا انقطاع...  
لن تصمت القيثارة  
ولن تموت الأشعار  
في فم الصغار.. كل الصغار  
تمرّين من أمام عيني  
مثل قافلة حزينة  
في شارع "عمر المختار"  
وضحكة الجلادين تمزق صمت النهار  
ولكن أن الأوان للزحف  
مثلما يزحفون في "سهل الجرار"  
الدم..

الدم في كل مكان  
كعصارة البرتقال  
في فم الكبار..  
مثل حليب في ثدي الصغار  
عيناك أعمق من عين النبع  
وشعرك مثل رموش الصنوبر  
من وراء القضبان  
ومثل نور يمتد آلاف  
وآلاف الأميال  
إلى واحات الآمال....

\* \* \*

## الرسالة السابعة

" من دمشق إلى ميريا "

انعكاسات الأشجار فوق المياه  
تحت السماء الصافية  
والنهار الخالد مثل عينيك  
ينير دروب المستقبل  
وفي قساوة الحرب في الشتاء  
قساوة الحب مع الفوارق الطبقيّة  
ومع الواقعية ومغزاها الحقيقي  
وفي هذه الحقول المغناطيسية  
أرى أعظم  
وأروع مثال لمفهوم الحياة...  
لأننا تعلمنا كيف نشارك الأمواج الهائجة  
ونقاوم الرياح  
وأيضاً أرى النواخذ التي تسهر خلفها  
وجوه موحشة وعيون زائفة  
كما أرى القبرين الصغيرين لي ولك

أشبهه ما تكون بتلك القبور  
يردد الكثيرون  
في روايات العرب..  
هكذا كانت تعاسات الخالدين  
في الأغنية الكاملة  
لملحمة بني الإنسان.  
الأصوات العميقة  
تتعالى هنا.. وهناك  
رعشة تسري من خلال القصائد  
فتلمع الصورة المشحونة بالانفعالات  
ولنسحَ لكي لا تقودنا الأوضاع  
إلى المآسي السوداء..  
أنا أحبك...  
لكي أغني بالأمجاد  
أحبك في الدروب  
في الضجيج  
أحبك..  
في الصمت  
في المحيط والبحيرات



وفي منعطفات الطرق  
وفي ملتقى الأنهار بالبحار  
وأفكر فيك في البرد والجليد  
في المدن.. والريف  
وإنك منحنية الرأس  
فوق شعرات أطفالك الصغار  
فوق الكتب والدفاتر..  
تحت الظلال والضوء المتذبذب الحيران  
إنك بالنسبة لي  
مثل زهرة الأوركيدا بلا جذور  
ولكنك كأبيات ايلوار وآراغون\*  
في ليالي باريس المظلمة  
بعد منتصف الليل...  
صارخة في وجه الطغاة  
لقد تعلمت حبك  
من وجوه الأبرياء

---

\* شاعران من شعراء مقاومة النازية في فرنسا.

الذين يساقون إلى الموت والنضال  
في ليلة تتخاطفها البروق  
وفي وضح النهار...  
ولم أدر لماذا لا تتخلى عيني  
عن زرقة السماء  
وتتهربان من القبح والغباء..  
الأرض السمراء  
والنباتات المتباينة  
والدهاليز الطويلة في المدن القديمة  
والجمال العظيم الذي لا نهاية له  
سيمدّ رحلتنا  
مع مظاهر الضوء المتخفية  
فوق الأمواج...  
ويميل الحصى إلى ذهب  
وفي دربنا الشعبي ولأجل الإبداع  
ولنرفع عن الوجوه  
أقنعة الموتى...  
ولنعط للأطفال بسمة خضراء

ومن هذا الشعر الهدام  
يولد كل ما هناك مقدس  
في بناء الوطن...  
تموجات الحلم.. مخاطر.. تهديدات  
الأحداث الخارجية  
وأحزان أيقظتها الحسرات  
وأقول له:  
إن الحب مثل الجوع والظماً  
ولكنه لا يرتوي أبدا  
ولكن الأرض تعمر بنساء ورجال  
هيا بنا نتعجل المستقبل  
ونغزل الصخور  
والأمواج  
والتراب مع أشجارها..  
والمتاعب  
لأجل الحياة.. ولبني الإنسان  
محباً للحب..  
حتى ولو لم..

\* \* \*

## الرسالة الثامنة

"من دمشق إلى ميريا"

العمر يا ميريا  
كالممر الضيق  
تجتمع فيه شتى المناخات  
تعشش فيه الشمس والأرض  
حياة مبهمة  
صراع مستمر عبر الأجيال  
وكل لحظة فيها  
لتكن مليئة بعصارة أدمغة العباقر  
من مختلف الجنسيات  
ومن الأزمنة المتباينة  
مع تحركٍ دائمٍ  
بلا توقف.. إلى الأمام...  
من هذا الجسد المرتعش

برعشة الآتي القريب..  
قفزت من الجليد إلى النار  
رأيت ألوان المماليك  
بين المعتدل والبارد.. والحرار  
أمواج من الألوان..  
أعطت لنا صور الحلم  
وقلت: ما الفائدة من.. التجزئة  
من الانفراد والعزلة..!٩

هناك جميع الأنهار  
متجهة نحو البحر  
حبة قمح.. حبتان وملايين من الحبات  
تتبعث منها الحياة..  
ولم تضع في غمرة الأحداث  
وبين طلاسّم ومعابد ويخور  
وعندما أحلامنا  
تبدأ بالتأرجح بين اليأس والرجاء  
في هذه اللحظة  
وعلى الإنسان

أن يسلك دروب النور...  
ويحساسية فعالة أكثر.. فأكثر  
ويفتش عن الشفق  
بعد الصعوبات  
ويتجه صوب البحيرات البراقة  
وينابيع أشد صلابة..  
تاركة جميع أنواع التخاذل..  
لتتطلق من مكان إلى مكان  
من بلد إلى بلد..  
مع المعادن تحت التراب  
مع أجنحة الطيور  
مع الربيع والصيف..  
وبهذه اللغة السهلة للإدراك الإنساني  
وباسم الذين ذبحوا  
أرى في كنزك المليء  
بصور أطفالنا الآتية  
وباسم النور المنعكس  
على جباه المقاتلين..

باسم الجوع المقدس والقديم  
يتمزج الهواء النقي بالدم  
الدم المراق الذي  
سفكته رشاشات المستعمرين  
نقول: فالأسماء تتغير.. تتبدل.. وتفنى  
ويبقى نضال الشعوب والأخوة خالدة..  
ومن الكلمة المدوية  
تتكون قصائدنا  
ولتكن في مقابلتها  
شبكات عنكبوتية... حديدية  
تمتد من جبل إلى جبل  
من قارة إلى قارة..  
بصيغة مطمئنة أحياناً  
وبأنياب مفترسة تارةً أخرى..  
لن نستطيع أن نعرفل مسيرتنا  
طاقات من الجهد المبذول للشعوب  
وترتفع فوق أمواج المحيطات  
مثل سلسلة الجبال

مع هذه الجماهير المكافحة المناضلة  
من سلالة الصخور الصلبة المتحركة  
دائماً إلى الأمام..  
آن الأوان بالرؤية الحسية  
ذات وجه واحد ومنطلق واحد  
وفي اتجاه واحد  
وتحمل وجهاً واحداً  
دون قناع  
نقابل جميع الهجمات  
عالمنا عالم واحد..  
لقد أغلقنا ثقوب الجدران  
منذ زمن بعيد..  
والنوافذ العريضة  
مفتوحة للشمس ولعالمنا الكبير  
ولنشرب شعاعات الشمس  
إلى الأبد.

\* \* \*



## الرسالة التاسعة

"من دمشق إلى ميريا"

أكتب إليك من مكان ما  
وأحدّث عن ذاتي  
أريد أن أفعل شيئاً  
لم يفعله أحد قبل..  
عالمًا لم تطأه قدم إنسان آخر  
أكتب إليك....  
تحت ظلال السأم الذي خيم على العالم  
في عصرنا هذا  
أكواخ الفقراء  
وفي الأحياء البائسة المنبوذة  
وضعت كل ما أملك من العواطف والمحبة

قرأت الأساطير من العصور الماضية  
زليخة كانت جريئة  
أما يوسف كان أبله

هكذا قالت لي عيناك

ومملكة سبأ..

عشت في شوارع ألف ليلة وليلة  
وأذناي كانتا مليئتين بألحان كورساكوف  
وسمعت عن شهرزاد أشياء كثيرة  
حول حوار بين الروح والجسد  
ولذا أقول لك:

تعالى...

لنستهدف بناء عالم جديد

تعالى لنجمع كل الأضداد

وندمج الكائنات الحية ببعضها

لأن في شفتي

الظماً الكوني

أسراب الطيور المهاجرة بين الأشجار

ستحتفل بأعراس دموية  
فمرحباً...  
بخفايا النفس تحت ضوء الشمس  
ولأجل آمال عاقرة  
ما دمنا مؤمنين بالشفق والحب  
رغم صحراء الجليد المحيط بنا  
قد تباغتنا فوهات البراكين  
ومناجم الفحم الحجري  
والطوفان....  
ولنتابع المسير...

\* \* \*

## الرسالة العاشرة

"من دمشق إلى ميريا"

فيض من الرموز  
يلف الإنسانية العارية  
مثل السنابل الخصبة..  
العين والشمس  
والعصافير السابحة في السماء  
والأسماك الراقصة  
على ألحان الأمواج  
وقدرات الإنسانية التي  
لا تعرف الحدود  
وتدخل كل تموجات الألوان  
في كياننا بالمصادفة أو الدعوة

ويثقل المصير الذي لا يرحم أحداً  
ومن خلال المعارك الدامية  
يكتمل العنف الدرامي  
بالاستسلام الرمادي  
وفي صورة الأشباح  
في نهاية المطاف عند المقابر يا ميريا  
.... ولكن لا تسيأن المستقبل  
مثل نجم ذهبي  
بأجفانه المبتسمة  
يبشرنا ويقول: ها هنا... ها هنا  
السعادة مفتوحة الأحضان  
ويانتظاركم الأزرق الأحمر  
يتغلغلان تحت ظلال العرائش  
الخضراء اللون  
في لهب الكتب المحترقة  
خلف سياج الكروم النبيذية  
لعالمنا وتتدفق الآمال

وتدفعنا إلى المساهمة  
لإثبات وجودنا الطبيعي  
وقدراتنا الهائلة للإبداع  
ومقاومة الفناء  
فالعالم.. ليس استعراضاً ومشهداً مسرحياً  
لعضلات الأساطيل  
ولأسراب من طيور فولاذية  
بل نحن البشر  
لسنا أمام كل هذه المناظر  
المتعددة الألوان  
بل نعيش بداخلها...  
وبحركاتنا الخلاقة  
ندفع مسيرة التاريخ إلى الأمام  
ونخلق عالماً جديداً وإنساناً جديداً  
بنفسنا..  
في وسط الكارثة  
وبثقة منقطعة النظير

وبالإيمان الإنساني المتبلور  
في كل خطوة  
أدعوك إلى الفرح  
ومحبة الحياة..  
الطاقة البشرية العظمى  
ستخلق قوانين العمل تحت السماء  
الهدم والبناء اللامتناهي..  
ناراً حية إلى الأبد  
فطوبى للباحثين عن الطرقات  
الطرقات التي تؤدي إلى البحر..  
إلى العمل..  
إلى الحياة واللاحدود..  
ويوماً سيكون كل شيء معلوماً لدينا  
ونقتلع من ذاكرة الأرض  
الحضارات المدفونة.. المندثرة هنا وهناك..  
مع هذا التعطش إلى الفهم والمعرفة للأشياء  
سيكون حبنا وسيطاً بيننا وبين كل الأشياء

وكل الماضي والمستقبل الذي يحيط بنا  
ليس هنا صوان، صخر وفولاذ  
يقف أمام تحركاتنا  
وما أماننا سوى الخصوبة والعمل وحبنا الكبير..  
تعالى نسير بسرعة هائلة  
بسرعة تفوق سرعة الصوت مرات عديدة...  
والجماهير بانتظارنا  
لنجلب لهم النصر...  
وكل ما هو نافع للبشر..  
وبلغة خالدة وبنضوج مستمر  
عبر حتمية التاريخ  
وبأمل مبدور  
من قبل السلالة الصخرية الثورية المتحركة  
عبر العصور  
تضيء هذه الليالي المظلمة  
ولنجتاز المرحلة...  
وباسم عظمة الإنسان والثقة



أقول لك:  
أحبك من كل قلبي  
أحبك مثل آسيا  
ومثل هذا الصمود الشاق  
ومثل لحن كامل  
في السيمفونية البطولية للحياة الصاعدة  
على أكتاف أولئك الذين  
يبنون الدنيا  
وبما تحتويه  
من التفاؤل...  
في أعماق الأرض وفوقها...  
هم رعاة المستقبل...  
الحياة جميلة كالشجر  
والسماء مرصعة بالنجوم  
والبحر الهادئ العظيم والفاجع  
تعالى....  
لنقف هنيهة في الشواطئ الرملية

ولنستمع إلى مقطع من قصيدة رائعة  
مسماة الحب....  
فلم تعد الكلمات بالنسبة لنا  
مجهولة المعاني والألوان  
بل نقفز من جديد  
ونداوم الطريق...  
حتى النهاية...  
مع هذه القافلة  
مع البنائين والمقاتلين....  
ومع هذه الكتل الهادرة  
تحت راية الحرية.. والثورة  
أي الملايين...  
تعالى....  
تعال.

\* \* \*

## الرسالة الحادية عشرة

"من دمشق إلى ميريا"

أكتب إليك  
وبجانبي امرأة مهجورة في المرأة  
وطفل شعراته من الأحلام  
ولن أهرع إلى الماضي  
والدموع والأحلام الممزقة  
في وكر عنكبوت قرن العشرين  
والهموم والنعاس الأسود  
لن يسيطر على أجفاني  
ولا بد لي من يوم من الأيام  
أن أغني أغنية انتصار الإنسان  
إن الحب: شعر

والموسيقا: شعر  
والصمت المتكلم الصارخ: شعر  
والموت أيضاً...: شعر  
فوداعاً يا ميريا  
يا ابنة هذا الشعب المناضل عبر العصور  
عبر الدروب الشاقة الطويلة  
لأنني لا أريد أن  
أقبل شفتيك مطلقاً قبلة يهوذا  
لقد تحطمت الأسوار  
وتعلمت ما هو الوقوف  
أمام الكنوز المزيفة..  
وعلمتني الحياة  
بأن الخزائن الفارغة  
لن تساعد على مسيرة القافلة  
حان الوقت...  
أن أبوح بالأسرار  
كانت الجبال يغطيها الجليد

ولكن الآن..  
بوضوحٍ نهاري  
وبرؤية المادية الجدلية  
بالأحزان التي  
أيقظتها الحسرات والزمن  
وبشعور متزايد بالغرابة  
أنتقل من مكان إلى مكان  
في أحضان الحب والإنسانية..  
في كل ليلة أمضي الليالي  
فوق الوسائد التي  
تحمل أناشيد الغد  
أنا ضيف في كل دار  
في كل مدينة  
في كل قرية  
ولن أشعر بغربتي مطلقاً  
بين الأهل والأحباء  
لأنني وضعت قلبي في كف الميزان

وقسمت آلامى مع البشر  
الفقراء البائسين  
غائلة مخيفة تسدُّ الدروب  
ولكن الأطفال يعيونهم البريئة  
ينظرون إليّ  
من هو هذا الشخص..؟  
أقول لهم:  
أيُّها الأطفال  
الأب الذي يضحي بحياته لأجلكم  
لأجل خبزكم ودفاتركم وأقلامكم  
ومستقبلكم... البعيد والقريب  
انظروا إليّ..  
يا بناء الأتقاض والخرائب  
يا أطفال الحرمان المميت والقاتل  
هيا بنا... انضموا إلى الصف  
ولنتخلص من موتنا اليومي  
لا تفكروا كيف مات القمر

وفيتنام في أتون المعركة  
سجون القدس مليئة بالأهات.  
وأيضاً..  
الأضرار تصطك في المرتفعات  
قصائد مصنوعة  
من ألياف قلب البشرية  
إنسانيُّ أنا يا أطفال بلادي  
وبلاد جميع القارات  
ولتنتهي أعمال الهدم  
أتكهنّ... أرى  
الآتي السعيد.... والآتي القريب  
ولكن اذكروني يا أطفال بلادي  
وأطفال العالم  
عشت لأجلكم.... لمستقبلكم  
ولأجل الفردوس الآتي  
ليس الفردوس المفقود  
الذي تحدثت عنها

العصور الماضية

كتاب مفتوح هذا إلى ميريا

من دمشق

من قلب الأحرار

الليل والأحلام

أجمل العيون تنظر إليّ

أجمل الأيدي تمتد إليّ

ولكن قلبي

في مكان صعب... قاس

النجمة الحمراء

في الأفق... يا ميريا

الشكوى والمرارة لن تفيدا

على أبواب الشفق ومطلع النهار

يجب علينا أن نعمل دون توقف

أفواجاً... أفراداً أن نعمل

أحياناً مع الورود والرياحين

مع القتلة والسفاكين



ولكن الهدف... كالشمس المنيرة  
في مكان مستقر وإلى الأبد  
بعد المواجهة والمعارضة  
بعد الأيام الطويلة  
والليالي المظلمة  
اسمعي يا ميريا  
أنا عاشقٌ ل... آآسيا  
هل تعرفين آسيا..؟  
آسيا ليس لها حدود  
آسيا بحر متلاطم الأمواج  
آسيا بآلامها وأفراحها  
آسيا عجيبة غريبة  
آسيا ضد المزايم  
آسيا حقيقة واضحة  
كنت إنساناً وقلت لك  
صخرة أنا... جزيرة أنتِ  
ولكن آسيا

ينبوع... ومزار  
جزيرة بعيدة... وزهرة في القلب  
صريحٌ أنا.. يا ميريا  
أقول لك:  
وداعاً يا ميريا  
لقد تركت قلبي ها هنا  
ربما الموت.... ربما الحياة  
ولكن..  
سنبقى قادرين على الحياة.

\* \* \*

## الرسالة الثانية عشرة والأخيرة

"من دمشق إلى ميريا"

وداعاً يا حبيبتي  
بداية قصيدتي  
في حديقتي أزهاراً حمراء اللون  
وأشجار السنوبر  
خضراء في كل فصول العمر  
وأعيش تاريخ خريفي  
وخريف التاريخ في أمسيات باردة  
متزحلقاً في شوارع العالم  
أكتب إليك..  
وجروح في صدري  
قدمي متعبتان

وعلى كتفي جبل من الآلام  
طريق بيت لحم في يد الغزاة  
وفي الممرات الجبلية أغنية حزينة  
تمتد إلى ما لا نهاية  
وطني: كنوز من البحيرات  
وبحيرات من الكنوز و...آهات  
جئت إليك وكان قلبي على كفي  
والنجوم السابحات على يدي  
أما السماء..  
فكانت مملأى بالغربان والصقور  
ولكن الفجر يشير للأمل مع الضوء البنفسجي  
أزرق اللون على مد البصر  
والنيران ترتعش مقتحمة أسوار الغضب  
موكبٌ متحركٌ نحو المجد والخلود..  
جئت إليك مفكراً بالشمس..  
بالربيع... بالآتي  
بالأطفال السعداء  
بالقصائد التي لم تنشر

وسعادتي التي لم تمت...  
منذ زمن بعيد في ليلة ثلجية  
خرست الأصوات في حناجر العشاق  
بين محركات المعامل الفولاذية  
قيس وليلى  
ماجدولين وجوليت...  
كلهم أبطال أساطير دون جدوى..  
وقلت لك..  
المرأة بالنسبة لنا ليست سوى الفكرة والعقيدة  
مثل الوطن والثورة....  
لن أفكر بشيرين وحواء  
والموت الرومنطقي فوق بحيرات سويسرا  
كان لي قلب..  
يا حبيبتي  
تركته في ساحة المدينة  
تحت الأضواء الفضية  
وعلى مفترقات الطرق

لكي ينير العتمات للمارة  
كان لي قلبٌ حبيبيتي..  
مزينٌ بأزهار الفقر والحرمان  
ولذا سلكت دروب النضال  
لكي أجلب لبيوت البؤساء  
شيئاً من السرور..

وأمسح الجوع عن خارطة العالم  
إنني عدو للجوع والحرب  
عاشق للدفع والسلام  
ولكن ما حيلتي إذا تراكمت الثلوج على الأبواب  
وانعقد بخار الدم فوق سمائي...  
ولذا بقيتُ مصراً على إنسانيتي  
متحدياً كل الذئاب والطغاة  
حينما جئت إليك  
كان في جعبتي زاد

مثل التين والزبيب والزيتون  
والكبريت والتبغ  
من بساتين بلادي

من صنع وطني  
أما أنت..  
فتفكرين بزجاجات من الويسكي  
تحت أضواء متراقصة  
في صالات هاي لايف  
رخامها من ايطاليا  
ومخيلتك تسبح تحت ضباب  
ريف دور سوار دي باري  
ومكانتك بقرب الكلاب  
التي تحرس أبواب الأسياد  
وتريدون الحياة  
في أحضان الزنود المملوطة  
بدماء الفقراء والكادحين  
تحت سماء الشرق  
على أنغام الطبول  
وعلى ضفاف أنهار من الجليد  
أنا شاعر من هذه الأرض  
متجول في شوارع العالم

وبيدي قيثارتي  
أغني للألم ، لليتامي والأرامل...  
وعلى دروب الشهداء...  
أعطي من قلبي...  
فراغ مخيف في حقيبتني  
فقيرٌ أنا..  
ليس لديّ ذهب ودولارات  
غنيُّ أنا..  
بقلبي.. بحبي.. بعقيدتي.. عدو للاستعمار  
مؤمنٌ.. عنيدٌ بالنصر  
بالأيام الجميلة الآتية لنا وللعالم...  
أقول لك:  
وداعاً يا حبيبتي..  
نهاية قصيدتي....

\* \* \*



## أبحث عن قاتل لوركا

وقفت على شرفات المدن  
والبحر  
أرى كل الشواطئ  
الصخور والرمال  
وأحواض السفن  
وبيت الموتى  
أفتش.. عن قاتل لوركا  
دخلت إلى الأحياء الشعبية المنبوذة  
جلست مع القتلة..  
واللصوص..  
وتسكعت في الليالي  
في الصيف والشتاء

فتشت عن قاتل لوركا  
نزلت إلى أعماق الأرض  
في مناجم الفحم الحجري  
وقابلت بشجاعة هائلة  
لهيب غريزو\*  
والجدران المهدمة  
وطرقاتها المدهشة  
وصيحات العمال  
فتشت عن قاتل لوركا  
كنت هناك  
في أواسط البحار  
مع القراصنة  
مع الجزارين.. وعمالقة الأعاصير والمغامرات  
وفتشت عن قاتل لوركا  
ركبت الرياح والبغال والقطارات والسفن...

---

\* نوع من الغاز يوجد في شقوق صخور الفحم الحجري.

قطعت الأميال العديدة من المسافات وبلا حساب  
كنت رمل الصحارى  
ورياح البراري  
جلست تحت الخيام  
مع الرعيان  
حليب الأغنام  
قوافل الجمال..  
المياه المالحة في الآبار  
فتشت عن قاتل لوركا  
مشيت على ضفاف الأنهار  
البيارات  
كروم العنب والزيتون  
والبساتين  
بحار متموجة من السندس الأخضر  
مناظر متغيرة في كل اللحظات  
سهول  
وسهوب.. وديان.. تلال.. وجبال..

نهر تاجة  
وغرناطة مدينة الفجر  
العاصي  
غارون.. دانوب  
أنطاكية.. بوردو  
الجمهورية الشعبية.. تابوريث\*  
كان عام ألف وتسعمئة وكسور  
فتشت عن قاتل لوركا  
والجمهورية  
وسمعت عن أقوال فولتير  
دفاعاً عن كالا  
سكالا  
فولي بيرجير

---

\* تابوريث: جمهورية شعبية اشتراكية طوباوية، سكانها من الفجر الذين عاشوا في جبال الكاربات، أيدوا من قبل الأعداء الداخليين والخارجيين، توزعوا في العالم إلى إسبانيا والشرق، ولاسيما العراق وتركيا وسورية.

تابوظ  
المقاهي الليلية  
والكباريهات  
المنظر الجذابة  
الحلوة.. المرعبة..  
والمرتعشة..  
غازلت الفتيات  
في عمر الصبا  
عانقت الأرامل  
ضاجعت المتزوجات  
بعنف لا مثيل له  
وفتشت عن قاتل لوركا  
حملت منجلي مع الحصادين  
واستيقظت باكراً  
حصدت الشعير والعدس  
والقمح..  
وبأصابعي الشاعرية

قطفت القطن  
قلعت الجلبان  
وفتشت عن قاتل لوركا  
نمت فوق البيادر على ضوء القمر  
سمعت القصص  
والحكايات  
على لسان الفلاحين  
عن الإقطاع..  
والحب.. والموت..  
والاستغلال..  
أمضيت الليالي الرهيبة  
تحت الأرض  
مع المقامرين  
في أوكارهم  
وبقيت مع حفاري القبور  
وفتشت عن قاتل لوركا  
مارست الهندسة

درست الفلسفة  
والاقتصاد السياسي  
ونلت شهادة في الأدب  
والصحافة  
رافقت وعملت مع المتعهدين  
والمحتكرين  
شربت من الألفية الرومانية  
من تحت الجسور  
ونقلت الإسمنت  
إلى الطوابق العليا  
وعينت في السلك الدبلوماسي  
وفتشت عن قاتل لوركا  
لم أجد أحداً  
لم أجد..  
لم أجد..  
وبدأت الرحيل  
من باب العريض

إلى أغوار التاريخ  
رافقت كل كاشم  
كنت أنكيدو  
بنيت برج بابل  
كنت أحب سميرا ميس  
وروكسانا  
بنيت الأهرامات  
كنت عاملاً بين العمال الذين  
ماتوا بالألوف  
من البلهاريسا  
والملايا...  
صارعت الثيران  
ووقفت جباراً شجاعاً..  
في وجه المؤامرات والفسائس  
في جسر التهديدات  
ومحاكم التفتيش  
ولم أقاتل طواحين الهواء



وفتشت عن قاتل لوركا  
كنت مع الملوك والأباطرة  
السلاطين والأمراء  
والكرادلة  
كنت مع قيصر  
هاجمني بروتوس  
وحملت الرايات  
ووضعت فوق القمم والقلاع  
وعلى يدي سبارتاكوس  
وبابك الخرمي  
جلست على طاولة المزاودات  
مع انطونيو وكليوباترا  
كنت شاعراً صغير السن  
وقابلت الموت راضياً  
ودفعت رأسي ثمناً  
لتلك الليلة  
وفتشت عن قاتل لوركا

آمنت بالحب  
بوشكين.. ليرمنتوف  
وفيرجيل.. أوفيدس  
دانتي.. وميلتون  
في الفردوس المفقود  
وعلى فوهة الجحيم  
وممر داريال وأنبيد  
آمنت بالحب  
زرادشت، وبوذا  
وكونفوشيوس  
والمسيح ومحمد..  
وفتشت عن قاتل لوركا  
كانت خديجة أمام المحراب  
ومريم تبسم للعالم والفقراء  
دليلة في سرير شمشون  
لامارتين وراء نعش جوسلين  
ورأس دومنيك فوق ركبتي إيلوار

والزا تضحك لأراغون  
عشت مع القاتل والقتلة  
والمقتول..  
وفتشت عن قاتل لوركا  
شاركت في الحروب والمعارك  
من طروادة اللئيمة  
إلى بواتييه  
من الحرب الأهلية الإسبانية  
إلى حرب بون  
ورافقت هانيبال  
في ممرات جبال الألب  
أين الآن عبد الرحمن الغافقي..؟  
شارل مارتل  
وجوكوف  
وحصار برلين  
لولد جورج  
كليمانصو.. هتلر

وايزنهاور  
وفتشت عن قاتل لوركا  
لم أكن.. من انتياجنس سرفيس  
أو الغستابو  
لم أكن...  
من رجالات عهد عبد الملك بن مروان  
والمنتصر بالله  
أنا فلاح  
في جوعي..  
في حبي..  
في قريتي..  
أفتش عن قاتل لوركا  
قالت لي العرافة:  
أليس موجوداً في كل الأمكنة  
التي زرتها..؟  
كان في البحر  
ريان السفينة

وفي البر  
الملك والأمير  
وملوك الفحم  
والقصدير والحديد  
روكفلر.. فورد..  
السادات.. والبنوك..  
في السهول:  
هو الإقطاع  
في المدن:  
هو الرأسمال  
في الحب العصر النيتروني  
هو الحبيبة  
جميع القتلة  
يجتمعون حول التابوت  
الخونة..  
والقيمة الزائدة..  
الجهل..

الفقر..  
والمرض..  
وأنت يا من تجلس بجانبني  
وتأكل معي  
بوهيمي.. رمزي.. سريالي  
أنت قاتل لوركا  
أنا.. أنت.. ونحن..  
كل أولئك الذين يقفون أمام  
الأحداث اليومية  
مكتوفين الأيدي  
وفي الحياد.. القتلة..  
انهضوا من نومكم  
من ملذاتكم  
لا نريد أن يموت مرة أخرى  
لوركا وغيفارا  
ولوليمب.

\* \* \*

## الحب والحياة والشاعر

"إلى عزيزة هارون"

صادفتك في المدينة  
ثلج في الليل  
جليد في الصباح  
ربيع رملي على الطريق  
قريتي باردة كالنجم بعيدة..  
فراشة الحقول...  
تعانق العذاب والهجر  
لأنها كانت زورقاً بلا هدف  
هربت من مسقط رأسها  
من القرية.. من الجوع..  
من موتاهم الصغار

بدأت علاقتي معها  
في حركة البحر الساكن  
ذي الوقار الصامت..  
علاقتي معها ومع الآخرين  
علاقة بحر متموج  
أيتها الجميلة العينين  
أحبناك ونحبك  
في المتاريس والحرب..  
وفي زمن التغيرات الهائلة  
محو الحدود  
وبناء السدود..  
أوراق ليس لها أسماء  
غبار الدروب  
ومياه الأنهار  
أوراق متساقطة  
منذ الزمن والذكريات..  
أشعل لفاقتي



من شرارات العواصف  
لون القرى المحروقة  
فلزات المعادن  
عصير العناقيد..  
ينشر الليل رداءه على الكون  
والليل موت متكرر الحدوث  
وأنت يا حبيبتي..  
تنتظرين تعاقب الليل والنهار  
ودوامة القتل!  
تركك في المدينة  
والشبابيك المفتوحة للمسافات التي  
تئن تحت الضجيج  
والضباب.

\* \* \*

## من أناشيد آسيا

لقد أحالوا بلدة مولدي إلى رماد  
وفي الثرى المكلس  
حيث تثوي عظام  
الذين كانوا أعزاء علينا  
تتفتح الآن.. أزهار بيضاء  
لن نسمح بقنبلة ذرية أخرى  
لن نسمح بانفجارها مرة ثالثة  
كلا.. لن نسمح بانفجارها في مدينتنا  
البحر مشؤوم حول بلدتي..  
وليس فيها يوم واحد من أيام السرور  
ليهطل المطر الفاجع  
وليست هناك إشارات إلى حياة إنسانية  
على السفن  
لن نسمح بقنبلة ذرية أخرى

لن نسمح بانفجارها مرة ثالثة  
لن نسمح بانفجارها في بحرنا..  
السماء ثقيلة فوق بلدتي..  
وسحبٌ سوداء  
تغطيها يوماً إثر يوم  
وعندما تشرق الشمس لا نبتهج  
لن نسمح بقنبلة ذرية أخرى الآن..  
لن نسمح بانفجارها مرة ثالثة  
كلا.. لن نسمح بانفجارها في سمائنا  
لقد ألى الخصب والسرور  
وجهد رفاقنا الدائب  
لقد ألت كل الجهود إلى العدم...  
لن نسمح بقنبلة ذرية أخرى  
لن نسمح بانفجارها مرة ثالثة  
كلا.. لن نسمح بانفجارها  
على أرضنا.

\* \* \*

## قودي المعركة يا تيسيل

جوهر الإنسان هو العمل  
"بابلو نيرودا"

شاهدت الليل والليالي  
رغم تقلبات الجوّ والفصول  
رغم قساوة الريح  
لم ينقص شيء من عزمي وآمالي  
رغم الفجوات الواسعة  
وسط الغابات  
أسمعُ من الشواطئ أغاني البحار....  
والأمواج المتلاطمة المجنونة الهائجة  
عبر المحيطات  
علمتني التجارب

اوركسترا عازفة  
مفيدة أكثر من بلبل حزين...  
أقاتل مرّة أخرى  
من شارع إلى شارع  
من دارٍ إلى دار  
أقاتل... أكافح... أناضل..  
ضدّ إمبراطورية الدولار  
ضدّ الاحتلال  
ضدّ عملاء الاستعمار  
فليكن جسدي وقوداً للمدافع  
أهاجم.. أدافع...  
يا تيسيل الحمراء.. قودي المعركة  
قودي المعركة  
من أجل التضامن مع كل شعوب العالم  
من أجل جثث الضحايا  
رغم تقلبات الجوّ والفصول  
رغم قسوة الريح

رغم السكاكين والظعن  
قودي المعركة  
رغم الفجوات الواسعة وسط الغابات  
رغم حمامة السلم الاصطناعية  
من حين إلى حين  
قودي المعركة.

\* \* \*

## أغنيات الدموع الأغنية الأولى

أيها النائمون على أسرة بيضاء..  
أعرف بما تحلمون..  
تحلمون بقشرة إنسانة بعثت في نفسكم الغريزة الحيوانية  
وتحلمون بأنكم تضاجعونها في الخيال  
مات اللب فيكم..  
وأضحيتم كثرة الجوز اليابسة الفارغة من اللب..  
تُكسرون كما يُكسر الفخار بسهولة..  
أتحلمون بالقشرة أيها النائمون على قشور بيضاء؟  
ولب تلك الإنسانية..  
أما فكرتم بها؟  
في داخلي قهقهة يا أيها الحالمون بالقشور..

أسرّتكم البيضاء تجعل الخراب قصوراً..  
وفي داخلكم خراب مقفور..  
بم تحلمون؟  
وكم فرحتم..  
واشتريتم..  
وانتشيتم من سيمفونيات دموع إنسانة الليل..  
أراها تمر من أمامي..  
لابسة قشرة فرضتموها عليها  
كأنها تشيع رفاتها كل يوم..  
وأنتم تغطون بنوم عميق  
ووحدها تتشد أغنيات الدموع...

\* \* \*



## فجر الكادحين

أشرقتم الشمس فوق أمواج  
من الزهور  
وفوق بسمه الندى ورياح الطيور  
شعاعات الصباح  
طيور في غابة خضراء..  
أجنحتها مرتفعة عالية في السماء  
كالقطرات من القصاصد المسحورة  
تمطر على روايينا..  
والنهار يضحك كزيد البحار  
كحدقات العيون  
عيون الصغار  
كثمار فوق الأغصان..

قال الوطن:  
انتظروا.. يا أطفال بلادي  
ثورة جديدة  
ولدت من رحم التراب  
نحو أفق حدوده زرقاء  
بلا حدود..  
مع الفجر وبين أحضان الخلود  
ألحانها دون كلمات  
كلها حركة.. وكلها صمود  
قال هراقليط:  
(لا جود.. سيرورة مستمرة)  
لا سكون في الريف  
ولا مكان للصمت المسلول  
في المدن  
وأقول:  
هيا بنا..  
كتائب إثر كتائب..

بعد اجتياز حظيرة القناعة  
ومستتقات المطر العقيم والرحمة  
خطواتنا خضراء  
في عيوننا البسمة البيضاء  
مواكب الثوار لن تعرف همسات  
جوفاء..  
من أنفاس الريح الصفراء التي تجرجر  
وراءها عربة الموتى...  
مات "سنغكس" في الشوارع الخرساء  
ونحن نصرخ بملء صوتنا دون خوف  
لا قناديل للدموع تحت الصخور  
على أشلاء العذارى  
لا جدال بين أدونيس وعشثروت  
أسراب النحل.. إثر أسراب  
وجحافل النمل  
راياتهم العملُ ليل نهار  
سندخل من الأبواب الشمسية

إلى العالم الجديد  
انتظروا الأناشيد...  
تتصاعد من رحم التراب  
ومن عيون الشمس..  
وينابيع النفط  
حلوةٌ بلادي..  
حزينةٌ، شبيهةٌ بعمري  
ولكن بعد فجر الكادحين  
لا مكان للحزن الرهيب  
فلنستمع إلى أغاني النفط  
فوق أمواج البحر الأبيض المتوسط  
والقمح..  
في الحقول..

\* \* \*

## حب جديد

هناك..

في مملكتك الوردية

كل العناوين قابلة للضياع

لا فرق بين حرارة اللقاء وحزن الوداع..

هناك..

في مملكتك الوردية

كل الدروب تؤدي إلى الموت

ما عدا التي تمر من وادي النسيان

طريق الخلاص..

النسيان شفاء لداء الظلام..

أيتها الغزالة التي ضاعت

في أروقة المدن

كيف نسيت الجبال العالية..؟

وقفلت النوافذ للعاصفة..؟  
في أغانيك تعيش المذابح والخناجر  
وشظايا القذائف  
ولم تتنفس نسيم السهول المعطرة  
بأزهارها البرية..  
نوافذك السرية لممرات الهواء والمكيفات..  
تقل إليك قبلات زمنية  
وروائح الأسماك ورنين المعادن  
أعرف أنك نسيتني ونسيت  
كيف ينمو الصنوبر في الجبال  
والزعر في البوادي؟  
وفراشات الحقول الضاحكة والسنابل...  
وقلبي المنبسط مثل الشمس..  
مثل وجه أمي في رؤيا عينيك  
أما أنا...

أعيش الزلازل  
والجداول.. والسواقي  
أموت جوعاً.. كدحاً.. وحباً

وإنني متفائلٌ رغم ثقل السلاسل...  
النسر جريح  
ينظر من فوق الصخرة إلى سهل يمتد...  
ويطير بنظراته  
وفي داخله حبٌ مثل حبي...  
وحدقٌ مثل حقدِي...  
وفي الأعالي.. الشمس حول صخرة النسر  
والعشب المجفف  
والذكرى تقتل الذكرى  
أمّا النسر دائماً يحتقر البكاء  
لن أبكي فيما بعد...  
لون الرياح قادر أن يقود ذاكرتي  
ويضاجعني الرحيل  
مثل الضوء..  
كان حبي لك في حجم البحر  
حجم الجبل والرغيف  
وكان في حجم الطفولة  
ثم في حجم المحيطات والقارات الخمس....

لكن التغييرات الوردية  
في مملكتك الوردية وحالة الحصار  
أرجعتني إلى الموج، إلى النسر  
وإلى الأفق  
وإلى الجبل والسنونو والسنديان.

بين قلبك  
وبين قلبي أفق بلا حدود...  
وتتشعب كل الدروب  
التي تؤدي إلى العالم  
الطيور المهاجرة والنجوم والشعراء...  
أموات بلا أكفان وأشجار الليمون وغابات الزيتون  
والأصدقاء الذين رحلوا بلا عنوان  
القطب الشمالي .. خط الاستواء والأسماء  
القرنفل.. الياسمين... الدفلة  
طين.. نحل.. نمل ودم  
والسنين لا تصغر الدنيا ولا تعظم...  
ولم يبق المستحيل.. ما عدا الشهرة  
النسر فوق الصخرة



النسر جريح..  
لا بدءاً للمطر.. وميعاد الولادة  
والرفاق...  
ينتظرون شمس أيار  
وضرب أوكار الرجعية  
وحبهم في لون الشجر..  
وفي شكل الشجر...  
وأنا شغوف بعملية التقليب  
تحت سماء آسيا لحب جديد..  
بمنقار طائر لم يعرف الجرح  
انتظريني  
سترين كيف تحترق الغابات الفولاذية..  
من لهيب حب جديد...  
يا حبي.

\* \* \*

## على درب آسيا

بتُ أسهر الليل  
ولم تتم عيني..  
رمال الصحراء.. إلى ما لا حدود  
عتمة الجبال.. حيث لا ترى العين  
الكهوف وقطعان الرعاة  
بحيرات ضاحكة  
عيون كحيلية سوداء  
جسد ممشوق طويل..  
تعالوا..  
لنستمع إلى الأغاني والأناشيد  
من الفرات ودجلة..  
من العاصي

وأغاريد الطفولة  
في رحلة خضراء  
على درب آسيا...  
أمدّ يدي إليك يا مستقبل  
بإحساسات أعلى.. وأنبل  
وُدّيانك حزينة في القرى المهجورة  
بيوت مهدومة والمقابر المجهولة  
على قارعات الطرق

ههنا..

أرض آسيا..

كل شيء مثقل بالأحلام  
في هدوء مسطح فوق الزمن  
تغني.. ترتعد..

ثم تغني من جديد

أصبح الخيال واقعياً..

آسيا مرتبطة بالأشواق  
مرادفة للحرق والاحتراق..

الحب لا امتناه.. بالانفعالات والمشقة  
إنني أرى العالم في قاع العيون  
من خلال الموت  
وفي عتمة المخاض  
على ألسنة الأغصان المثقلة بالثمار والحداد...  
وأنت يا آسيا  
تتظرين إلى الآفاق  
بلمسات حديدية باردة  
ككسوف الشمس  
والوعيد بالانتقام.. والثأر  
ماذا نعمل..؟  
ماذا ننتظر من الضوء العابر..؟  
تعالوا... نزل إلى الأعماق  
نحمل أثقالاً..  
نشرب نخب الآتي..  
ونسج الشمس  
وقبلة الفجر

وإن انعدمت الدروب  
أختتم النشيد بإرادتي  
لا.. لا أعتقد...  
لأنَّ الدروب موجودة دائماً  
للمحبين والمؤمنين بالحياة  
بالعمل  
منذ الأزل... وإلى الأبد  
هيا بنا على درب آسيا..

\* \* \*

## من أغاني الحب والثورة

في بداية قصيدتي  
أقول لك: ودائماً يا حبيبتي..  
في حديقتي أزهار حمراء اللون  
وأشجار السنوبر  
خضراء بكل فصول العمر  
وأعيش خريف التاريخ.. وتاريخ خريفي  
في الأمسيات الباردة متزحلقاً  
في شوارع العالم  
حملت جيلاً من الآلام  
وقدماي كانتا متعبتين  
فوق أرض آسيا  
طريق بيت لحم بيد الغزاة  
وفي الممرات الجبلية

أغنية حزينة تمتد إلى ما لا نهاية  
وفي وطني كنوز من البحيرات  
وبحيرات من الكنوز.. والآهات!...  
جئت إليك  
وكان قلبي على كفي  
والنجوم السابحات على يدي  
جئت إليك...  
مفكراً بالشمس.. بالربيع  
.... بالآتي.. بالأطفال  
بالقصائد التي لم تشر  
وسعادتي التي لم تقتل  
وقلت لك: في ليلة ثلجية  
منذ زمن بعيد  
اختفت الأصوات التي تصعد  
من حناجر العشاق  
تحت المحركات الفولاذية للمعامل  
روميو وجوليت، قيس ولىلى  
كلهم أبطال الأساطير

وقلت لك: النساء بالنسبة لنا  
لسن سوى الفكر والعقيدة  
.... مثل الوطن والثورة  
شيرين التي من أجلها تُقْبَتُ الجبال  
أيضاً...  
حواء التي أبعد آدم من الجنة لأجلها...  
كان لي قلب يا حبيبي  
ولكن... تركته في ساحة المدينة  
تحت الأضواء البنفسجية  
على مفترقات الطرق  
لكي ينير العتمات للمارة..  
كان لي قلب يا حبيبي  
مزِين بأزهار الفقر والحرمان  
ولذا سلكت دروب النضال  
لكي أجلب لبيوت البؤساء  
مزيداً من السرور  
وأمسح الجوع عن خارطة العالم  
إنني عدو للجوع والحرب



إنني عاشق للدفع والسلام  
ولكن ما حيلتي...؟!  
إذا تراكمت الثلوج على الأبواب  
ويبقى البخار الدم فوق سمائي  
ما حيلتي...؟!  
ولذا أصر على انسانيتي التي لم يفهمها  
الذئاب والطفة  
أحبيتك من كل قلبي  
وفي جعبتي زاد من التين والزبيب  
والكبريت... والتبغ  
من بساتين بلادي ومن صنع وطني  
ولكن... ما حيلتي..?  
إذا كنت  
تفكرين أنت بالكلاب  
التي تحرس أبواب الأسياد  
وبزجاجات من الويسكي  
تحت أضواء النيونات

وفي صالات الرقص  
من الرخام الإيطالي  
ويسبح قلبك  
في بحيرات سوار دي باري وريف دور  
ما حيلتي..؟  
إذا تركتك في وحدتك وفي عزلتك  
وغداً ستلتقي بالكروش الضخمة  
والبطون المنتفخة  
باللحوم.. والشحوم  
والأيادي القوية  
والملطخة بدم الفقراء والكادحين  
على ضفاف البحيرات الفضية  
تحت سماء الشرق  
وعلى أنغام الطبول...  
أنا شاعرٌ من هذه الأرض  
أتجول في شوارع العالم  
وبيدي قيثارتي

وأغني للألم..  
لليتامى.. للأرامل..  
وأرثي الشهداء  
وأعطي من قلبي  
وفراغ مخيف في حقيبتني  
انظري إلى الشوارع  
إلى البيوت المهذمة  
إلى الناس المزدحمة  
حول بائع المازوت وزيت الكاز  
إلى الأفران  
إلى البائسين المتجولين وللأطفال  
العراة... والجياع  
أنا.. ثملٌ بالعذاب  
ولكن لم أفقد ولن أفقد توازني  
أعرف الطريق الذي أسير فيه  
وسأجمع كل جياع العالم  
وكل العراة.... وكل أولئك الذين

لا يتخدعون بالعجز الكاذب

سأجمع كل مناظلي الأرض

من رأس الرجاء الصالح إلى آلاسكا

سأجمع كل الكوبيين والكوريين والفيتناميين

وجميع الأحرار في العالم

لمساندة قضيتي

وأضحّي.. بدمي

وأقول لك: وداعاً يا حبيبتي

فقيرٌ أنا.... ليس لدي ذهب ودولار

غنيٌ قلبي... بعقيدتي

وأنا مؤمنٌ.. عنيدٌ بالنصر

بالأيام الجميلة الآتية لنا

.... وللعالم

لا تفكري....

بأنني عدو لضوء القمر

والحب الدافئ

والجمال الإغريقي

والصدر الجميل  
أنا شاعرٌ من هذه الديار  
أعيش خريف عمري  
أجمل اللآلئ دموع عيني  
أجمل القلائد حروف قصائدي  
وكلماتي النارية  
التي تهدد البنتاغون  
ويؤرة الغبار الذري  
لا تخافى... لن أرجع إليك  
لكي لا تتزعزع أحلامك العاجية  
أجمل الألحان هدير المدافع  
صوت الصواريخ من طراز سام  
نشيد النصر  
وحب الإنسان.

\* \* \*

## الشاعر ومنزل الحرية

أنا عابذك القديم  
جئت إليك..  
أمام منزلك الموحش  
أغني في عتمة الغسق  
أين المصباح..؟  
لماذا أنت مطفئة المصباح في دارك؟  
أأنت حزينة؟  
أنبقى صامتين أجيالاً؟  
أترضين بذلك...؟  
خذي من دنيا إلى دنيا  
من بحر إلى بحر آخر  
في صدري قيثاره..  
وفي عروقي دم..  
الدم الذي تريدينه أنت..

عيناى ملئتان بالاحتراق والفاء..  
خذيى إلى عالمك  
وعلى دربك الشاق  
لكى أعىش حىاتى مع القافلة  
نحو البحار البعىة  
والجبال الصامدة...  
لا أرىء من القءر  
أن يقراء مصىرى..  
أكتب ببىءى الفلاحيىن  
اسلىقظى.. جئء إلىك  
ولكن لا أعرء كىف أفتح الباب..!  
لا أرىء أن يذهب وقى ضىاعاً  
هناك الرفاق فى الانتظار  
سلكون جمىلة أىامنا الآنىة...  
وأولاء ماىس  
ىشرون الإنسان من الأسواق  
ثم ىمضون به  
وىجرونه بالسلاسل كالكلاب  
وىفصلون الفتىاء عن أمهاتهن

كم كانت في شوارع روما القديمة  
بقرب كوليزيوم  
رغم الكاهن الأكبر..  
رغم الصلاة  
كيف..؟ عجت..؟  
دموع حقيقية  
والعيون..  
دموع.. كدموع الإنسان  
عيون.. كعيون الإنسان  
في جسد من الرخام والذهب  
خذييني إلى الوادي العريض  
واسمعييني هدير الشلال..  
أنا.. أنا الذي أريد  
أنا أضع ديناميت  
تحت عرش جوبيتر

\* \* \*



## لنقاوم بصدور مفتوحة

تعال يا بنيّ...  
لنأخذ موقفاً من الحياة  
فالعالم لم يرقص على حافة فوهات البراكين  
والأودية النارية  
والت ديزني يحرك الأشكال  
البنّتاغون العقول العسكرية  
يحرك آبار النفط والحروب  
والعالم متوزّع مثل الشرايين  
والتاريخ المظلم يسير نحو غامضٍ مجهول  
تعال يا بنيّ...  
لنستمع إلى الراوي  
كانت سنابك الخيول

تدكّ تيجان الملوك وأبواب قلاعهم  
وما بقي لنا منها...

عظامٌ بيضاء فوق الرمال  
قلاع متينة متّحدية للرياح  
فوق القمم والمرتفعات

أكوام من الحجر في المتاحف  
خطوط منقوشة على الجدران  
بيادر السيراميك  
وغبار كثيف يغطي الكتابات  
القديمة

أقول لك يا بنيّ..  
انظر لما يدور من حولك  
وسرّ قدماً نحو الحياة  
الأحجار.. المقابر  
الصراخ.. الطبول  
لن تجلب لنا النصر  
ولنترك الأموات في قبورهم

فليستريحوا...  
كل السفن تتجه إلى الموانئ  
فالرياح الآتية من البحر في لون قوس قزح  
إنها أديث بياف تصرخ.. تصرخ  
تمر المياه من تحت الجسور  
تغرب الشمس  
فالليالي مليئة بالدخان  
وروائح البخور والخمر  
قصر بني وردان  
بني هوري.. أوروبا  
بنت سابة  
عناقيد الغضب  
شوارع البندقية  
ما يزالون يتنهدون فوق الجسور  
خناجراً وسموماً  
والكواليس تسيطر على الأسواق  
كيسنجر يكتب مذكراته

وهو في أحضان الحبيبة  
لكن الرحلات المكوكية لم ولن تتوقف  
أبطال المسرح هم.. هم...  
يغيرون ألبستهم فقط  
أرضنا المحتلة  
والنجم المضيء  
والصمود الشاق الطويل  
لكن...! لنتنظر  
لنقاوم هجمات الجلادين بصدور مفتوحة  
تعال يا بني... لناخذ موقفاً من الحياة  
تعال يا بني.. لنستمع إلى الراوي  
تعال يا بني.. نرقص نرقص  
على لحن الحرية الذي يعزفه  
العمال والفلاحون  
على بعد شبرٍ من صدورنا.

\* \* \*

السبت 15/تشرين الثاني/ 1980

## تحياتي إلى المقاتلين في الجبال

تحياتي إلى أولئك الذين  
يقاتلون في الجبال والسفوح  
في وطن الزهور والجمال والأبطال  
عبر الغابات والأودية  
أمل أن يصل صوتي  
إلى أولئك الذين  
يموتون دون خوف  
ولم يشكوا أبداً  
مهما كان لون العذاب  
وتفاهة الأيام التي يحبونها  
فالبجر شديد الملوحة...

يدهم كابوس نهاري...  
وما أكثر المقابر في مدننا  
والأبواب المقفلة  
فراغ.. وضياء..  
والأوراق الصفراء المتطايرة  
نبيذ.. وطعام.. وامرأة جميلة  
سدوم وعمورة  
إنني أتحمّل مصيري راضياً  
واقفاً على وجه الظلام الزاحف  
ولكن لم..  
ولن يخمد النار المتأجج  
في قلبي وصدري...  
الآلام والأوجاع  
مثل السحابة تسطع فوق سمائي  
وأنا جالس فوق عزلتي  
أفكر.... وأفكر...  
إنك موجودة في كل لحظة

من لحظات حياتي  
وسمائي مرصعة  
بنجوم عينيك  
وحولي كل ما هو موجود  
في جمال وجهك المضطرب  
وعينك في عيني...  
أعني أفكر  
وأطلق حلمي السجين  
فالأفاق مليئة بالوعود  
رغم الأساطيل المتجهة  
نحو شواطئ لبنان  
.. رغم العدو  
ورغم التهديدات  
إنني متفائل  
بمواعيد الفجر الآتي الجميل.

\* \* \*

حلب 1988

## الكلمات الأخيرة على دروب آسيا

لا تقولي لي يا حبيبتي  
إنني يتيمة منذ الأزل  
وسوف أبقى إلى الأبد  
انظري إلى الأفق وزرقة السماء  
إلى البحر وزغاريد الحياة..  
انظري إلى البكاء في فم الصغار  
والدموع في عيون اليتامى  
والنحل الآتي المحمل بالعسل  
والأرض السمراء التي توعدنا في الليل والنهار..  
أ يتيمة أنت في شوارع الغرباء..؟



ورود شيراز  
جميلة أيضاً هي سجادات أصفهان  
ولكنك أنسيتني.. هناك في السجون والمعتقلات  
ملاحم مدونة في أدمغة شباب  
لا يرون شعاع الشمس  
ملاحم مكتوبة بالدماء  
أنسيتني الزوجة الباكية  
على جثة حبيبها الملقاة على النهر  
لا تقولي بأن المياه تمر من تحت الجسر  
لن يبقى طريق أورشليم بيد الغزاة  
والقدس ماضية في دربها نحو الخلود  
وفي كل ليلة شتوية  
البروق والرعود تضيء الظلام  
وتمزق صمت الليل  
أما في المرتفعات تسقط الرؤوس مثل مطر الشتاء  
بالألوف...  
الجداول الجبلية بلونها الأحمر القاني

تروي الحقول  
والفتيات بأيديهن البنادق  
ويرقصن على أنغام المزامير والطبول  
ويرصدن الطيور الكاسرة بين الغيوم  
لا تقولي لي.... الحياة هي الكذب والخداع  
ولكن الحقائق عبر العصور تقول لنا:  
الحياة لمن يكافح بالجدية  
وفي غير أوقات الهضم والفراغ  
أعطي كل أوقاتك للثورة والكفاح  
رأيت الجواهري عاشقاً  
في شوارع براغ وكالا  
مغلولة الأيدي في حلب  
وكنت أنا عاشقاً لبائعة السمك  
قروي... أنا في حبي وحقدي  
آسيوي.. أنا بعاطفتي الفوارة  
وفي شريان جسمي دم حار يجري بعنفوان وقهر  
ضد كل القيم المزيفة.. والمواقف الهزيلة

وفقدت صبري في "ليلة الهجران" من أوجاع قلبي  
ولم تذهب من مخيلتي ذكراك يا حبيبتي  
يا ابنة الحقول والجبال  
وأنت غاضبة مقهورة وفي لونك اصفرار..  
أردت أن تكوني في حذر من الذئاب والثعالب  
هذا ليس حقد الشمس والنهار  
بل اليقظة الثورية المنيرة للدروب  
ثمانية وأربعون عاماً من التجارب في العمر...  
دروس من شوارع العالم  
المؤامرات الفخاخ وتعاريج الدروب  
والمنعطفات.. وعلى كل حال  
لم أقل لك أكثر من هذا  
وإذا أردت الابتعاد عني  
ابتعادي عنك..  
فلنرحب بذلك.. لأنَّ هنا... وهناك  
شعبي وفقراء العالم بانتظاري.  
\* \* \*

## قلبي والأمل

دوارةً غامضة  
تدور فوق الخطوط  
داخل مجتمتي..  
لا تحرقوا الفجور  
لكل نهر جسر  
ولكل زهرة سماء  
وأقمار ليلية  
تسبح في البحيرات الزرقاء  
عندما أرقد في فراشي  
لا يبتعد عن ذهني  
أولئك الذين يمرّون كالوميض  
في قلب الليل

وقلبي يُفعم بالأمل  
ها هي... الأرض  
مرويةً بالدماء  
ستصبح مكاناً مسحوراً  
لجيلنا القادم  
والطيور تغني أنشودة فرحة  
وتكتب كلمات خالدة... مبشرة  
بسعادة بني البشر  
فوق السهوب الموحشة  
لولا...  
لم نعش...  
بلا أمل...

\* \* \*

## عناد

إبرة... وخيط  
وعيون النساء في فيتتام!  
الفانتوم في السماء  
في عيون النساء الفيتتاميات  
أما الابتسامة  
فوق شفتي الإنسان  
أقوى من الموت ألف مرة..  
لن يأتي السلام  
إلا على أجنحة الرياح..  
تلك الرياح التي تجتاز الحقول  
الأسنان البيضاء مثل الأرز..  
وبعد تفجير خزانات النفط  
في البعيد..  
واللهيب يقبل شفتي النجوم

والطفلة تلعب بالأزرق... بالأحمر  
والأطفال الذين يشربون  
قطرات حذقاتهم  
يصرخون بملء أصواتهم  
أزرق.. أحمر..  
والرجل العجوز يفكر  
مهما تكن..  
كبيرة أساطيل العدو  
مهما تكن..  
كثيرة الجنود في الخنادق  
والأيام المحاطة بالموت  
لا بد.. للنصر أن يأتي  
على أجنحة الرياح  
مثل شعاعات الشمس  
تغمر العالم بالسعادة  
في يوم ما...

\* \* \*

## أنا آسيوي في حقدي وحي وعنادي

على أكتاف البواخر  
المقلعة نحو الموانئ الجهنمية  
والقروء تزحف على رؤوسها  
هارية من لصوص البنتاغون  
أرض القصب  
والقطن والزيتون والبتروول  
والتراب التنظيف دون جراثيم  
تجلب أنظار هؤلاء القراصنة لحضارة  
"ماريجوانا" ..

قال: من أنت؟

قلت: أنا آسيوي.. في حقدي..

أنا آسيوي.. في حبي..



أنا آسيوي.. في عنادي..  
أنا نشيد حرب لا تنتهي بسهولة  
أنا عشب الأرض  
أنا زهرة الفصول الأربعة  
أنا أشواك الصحراء  
ولكن لي قبضة فولاذية  
مغروسة في رثتيك  
وتمتد أصابعي حول عنقك الثمل  
قال: ما هو عنوانك؟  
قلت.. ليس لي عنوان  
أنا من آسيا فقط  
أعبر بلدان عريضة  
طويلة مثل الآلام..  
في عربات الطريق.. حافية القدمين  
وعلى حساب كريات دمي  
أقطع المسافات الطويلة  
رأيت بلدان عديدة  
تحترق تحت لهب النيران

بيد أميركي..  
والوباء يهدم البيوت  
والجوع يحصد الرؤوس  
وكله من صنع أمريكا  
رأيت الآلات الفنية الجهنمية  
تمتص الأوكسجين من رياح آسيا  
وتسرق النوم من العيون المفتوحة  
وعصارة غالية من أدمغتنا  
وزنودنا  
في الخزانات الفولاذية  
عبر المحيطات أخذت طريقها  
نحو بلاد سام... دون توقّف  
حتى البعوض والحشرات السامة  
وجميع أنواع الأفاعي  
لأجل الحرب الكيميائية.

\* \* \*

## سأولد من جديد

عصارة الشريان والوريد  
على صفحات الغوطة  
والشجيرات  
في غابة خضراء  
تغني للعصافير:  
إيه عن يافا  
قبل المغيب...  
وفي جنة الليل يتجول الحبيب  
بيده البندقية  
وعيناه تتقلبان  
إلى لهيب

في عينيك تلمع الكؤوس  
من حقد الأنهار  
من الفرات  
من بردى  
حقدك يتحدى السلاسل  
الخيول تتحدى الأسوار  
لي جسد  
جسد كبير...  
ويحاول الغراب  
أن ينقر النهدي  
في هذا الجسد  
إذن..  
سأشرب دماً ودمعاً  
وأنطلق إلى آخر الليل  
أقرع الأبواب والنوافذ  
برأسي.. أقتل.. أموت  
لأجل زارعي القمح والشعير

لأجل دوالي العنب  
لأجل الأزهار والروابي  
والينابيع  
أموت.. أقاتل.. لكى أحيا  
من جديد  
ففى عيون الأطفال.

\* \* \*

## الشمس لن تغيب

صخور ثقيلة سوداء  
تتدحرج فوق حقول الزمن  
حراب ذات رؤوس حجرية  
تتجه نحو صدري..  
وأنا حيران  
كمتفرج على مسرح المحن..  
مع زجاجة فكرية المحتوى  
من بلاد الكواكب  
من السماء الممزقة بالخناجر.. بالحقد  
من بلاد الشمس الصديقة  
ممزوجة بعصارة الكروم الخريفية  
ولم أكتب كلماتي

فوق الغيوم العابرة..  
وعلى رمال الصحارى الكبرى  
بل أحاطب ضمير الإنسان  
الشمس لن تغيب  
أما أسوار القدس  
فمقفولة في وجه الطغاة  
والعذارى أقدامهن مرتبطة بالأرض  
هناك.. في الانتظار المؤمن العنيد  
فوق رؤوسهن أنوار الثورة المقدسة  
غبار العظام البشرية..  
ولم تحترق جثث تحت حرارة الشمس  
لأنها تؤخذ إلى الأفران  
ومعامل الصابون  
من قبل أبالسة القرن العشرين  
لن تسير القافلة بلا غاية  
باتجاه الريح...  
ولن يجف الدم في عروق القمر

رغم برودة الليل.. والثلوج  
في الجبال غير المسكونة  
مات هندنبورغ في مسرح الأشباح  
دون كيشوت في رقصة شارلتون  
فوق الجسور دون أمل...  
مداخن المصانع ليست طواحين الهواء  
لن تغوص أقدامنا في الوحل أبداً  
في مستنقعات ليدي هاملتون  
ساحة المعركة ليست الطرف الأغر\*  
والنزاع ليس بين بونايرت ونلسون  
هناك في بلاد اليانكي  
التعبئة العامة  
لإبادة أبناء الشمس والتراب  
وقتل أسماك البحار والزئوج  
وفي صدر أباطرة بون

---

\* اسم المعركة الفاصلة بين نابليون ونلسون.



صليب معكوف  
يحلمون تحت ضباب البخور  
بتفجير الجبال الخضراء  
كرهاً بالأشجار والطيور والثمار  
لكي تبقى الأرض يتيمة فيما بعد كصحارى  
والسمااء مقفولة الأبواب  
بالحراب  
فأمّا أنا..  
القافلة تسيّر رويداً.. رويداً  
نحو بلاد النحل  
سيمتلئ الشهر بالعسل  
مهما طال الزمن..  
تكاتفى أيتها الجبال  
صمتك مليء بالأمال  
آن الأوان..  
سيولد النور.. من الأب الإنسان  
والأم التراب

حبي لك يا بردى  
وأشهد أنك يا قاسيون  
حب الحرية في كل مكان.. بقلب لا يتجزأ  
إن حب الحرية  
لن يرضخ أمام الأساطيل والأسراب.

\* \* \*

## سرٌ عظيمٌ...

سأفضي اليك بسرٍ عظيمٍ أغلقتي الأبواب..  
الموت أهون من الحب لذا أتكبد عناء الحياة يا حُبِّي.  
"أراغون"

ملايين البنادق والمدافع..

نسور في الأفق.

سياج من الجنود..

عود الثقاب والضوء يحترق..

في الشفق المتفجر

فهمٌ عميقٌ للنهار الآتي

.. نغمات قصائدنا

لم تكن طليقة في الريح..

بل موجهة إلى غابةٍ ما

والى الأمواج  
في بحرٍ ما..  
والحب معبد  
إذاً.. افتحوا الأبواب للجميع...  
للمحبين.. والمؤمنين...  
في عيني ضوء متحرك  
بيدي مقلعٌ  
وفي جعبتي أحجارٌ مسننةٌ  
فلتكن الفارات الجهنمية  
أشد كثافة من ذي قبل...  
الإنسان عابر من الموت  
نحو الحياة  
وللحب استمرارية الخلود  
أما أنت.. يا حبيبتي  
أيتها المحرك الذي لا يتحرك  
تعالى لنقهر الزمن  
بمعطياتنا للبشرية

ولنتحدى  
البداية والنهاية  
وعند انبلاج الصبح  
أقول لك:  
النهار يبدأ والليل يموت

\* \* \*

## الأخطبوط... أمريكا

"آخر قصيدة له قبل رحيله"

تعبر الريح من حارتنا  
وتعبر الأيام من العمر  
ولكن الأصدقاء..  
يتركون الآثار والبصمات العميقة  
في القلب...

وعلى جدار التاريخ  
ومن حولنا يدور الأخطبوط  
من البحر الهندي  
ومن سهول الأناضول وجبال طوروس  
والموصل وسنجار  
وفي الجنوب... وفي أرضنا المحتلة

مرت لحظات.. ولحظات  
لا أريد أن أعيش  
على حساب الآخرين  
أريد أن أموت بريئاً  
وليس قاتلاً...  
أنا من الهنود الحمر  
أنا من فلسطين  
أنا من سلفادور  
أنا من ديرسم  
أنا من مهاباد  
أنا من شقلاوا  
أنا من بريتوريا  
من تشيلي..  
أكره كل أولئك الذين  
يسرقون أرضي وخيراتي.  
\* \* \*

حلب 1996/4/8





## الفهرس

5.....	. / 1996 1924
15 .....	
17 .....	
21 .....	
25 .....	
27 .....	
32 .....	
37 .....	
41 .....	
42 .....	
46 .....	
48 .....	
52 .....	
59 .....	

62	.....	
64	.....	
66	.....	
68	.....	
71	.....	1
73	.....	2
75	.....	
77	.....	
78	.....	
80	.....	
82	.....	
90	.....	/
93	.....	
96	.....	
	(	)
99	.....	
103	.....	
113	.....	
117	.....	

120.....  
123.....  
127.....  
132.....  
137.....  
140.....  
147.....  
155.....  
161.....  
175.....  
178.....  
180.....  
183..... /  
185.....  
189.....  
194.....  
198.....  
206.....  
209.....

213.....  
216.....  
220.....  
222.....  
224.....  
227.....  
230.....  
235.....  
238..... ..

**إصدارات سلسلة  
كتاب الجيب السابقة**

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	٢
2006	.	.		1
2006	.	.		2
2006	.	.		3
2007	.	.		4
2007	.	.	...	5
2007	.	.		6
2007	.	.	-	7
2007	.	.	./ - - - -	8
2007			/( ) ): (	9
2007		.		10
2007		.		11

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2007		.		12
2007	.	.		13
2007	.	.		14
2008		.		15
2008		.		16
2008		.		17
2008		.	1944	18
2008		.		19
2008		.	-	20
2008		.		21
2008		.	-	22
2008		.		23
2008		.		24
2008		.		25
2009		.	-	26
2009	.	.	-	27

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2009	.	.	-	28
2009	.	.	-	29
2009	.	.	-	30
2009	.	.	-	31
2009	.	.	-	32
2009	.	.	-1971	33
2009	.	.	- -	34
2010	.	.		35
2010	.	.	-( )	36
2010	.	.	( )	37
2010	.	.	- -	38
2010	.	.	-	39
2010	.	.		40
2010	.	.	-	41
2010	.	.	. -	42
2010	.	.	-	43

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2010	-	-	.	44
2011	.	.	.	45
2011	.	.	) (	46
2011	.	.	004 -	47
2011	.	.	.	48
2011	.	.	.	49
2011	.	.	: -	50
2011	.	.	.	51
2011	.	.	.	52
2011	.	.	.	53
2011	.	.	.	54
2012	.	.	-	55
2012	.	.	-	56
2012	.	-	.	57
2012	.	.	1968 ) ( -	58



سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2012			1	59
2012			2	60
2012			-	61
2012			-	62
2012				63
2012	.	.	-	64
2012				65
2012				66
2012				67
2013	.		( )	68
2013	.			69
2013		..		70
2013		..		71
2013				72
2013	.	.		73
2013		..		74
2013		.		75
2013		..		76
2013		..		77

